الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج –

كلية : الأدب واللغات قسم : اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الخِطَاب النّبَويّ فِي الأَحَاديث القُدُسِيّة مِنَ الأَرْبَعِين النّوَويّة

–دراسة تداولية–

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالبتين:

- خويطر أحلام
- دبوشة رانية

إشراف الدكتور:

- قديدح عبد المجيد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
لعور موسى	أستاذ محاضر (أ)	جامعة برج بوعريريج	رئيسا
قديدح عبد المجيد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة برج بوعريريج	مشرفا ومقررا
بوزيدي منير	أستاذ محاضر (أ)	جامعة برج بوعريريج	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445–1446هـ /2024–2025م

2020 جوان 27

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في .....

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الأول)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): خويطر آسيا ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالبة .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 141320541 والصادرة بتاريخ 2025/02/14 .....

المسجل(ة) بكلية / معهد آداب ولغات ..... قسم اللغة والأدب عربي .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: مذكرة ماستر لبحث عنوانه: الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية من الأربعين النووية - دراسة تداولية .....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

شوهد لأجل التصديق

السيد: .....

بطاقة التعريف الوطنية رقم: .....

مستخرج في: .....

العنوان: .....

التاريخ: 2025.06.02

توقيع المعني (ة)

رئيس المجلس الشعبي البلدي وبتفويض منه

ضابط الحالة المدنية

حروز زهير

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الثاني)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): د بوشة رانيا ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالبة .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 406314096 والصادرة بتاريخ 2023/04/04

المسجل(ة) بكلية / معهد آداب ولغات قسم اللغة والأدب العربي

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه).

عنوانها: الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية من الأربعين النووية دراسة تداولية

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 2025/02/02

توقيع المعني (ة)

شوهد لأجل التصديق

السيد: المعني

بطاقة التعريف الوطنية رقم:

مستخرج بتاريخ:

الجماعة الإقليمية:

2025 فبراير 02

رئيس المجلس الشعبي البلدي و بتفويض منه

ضابط الحالة المدنية

بروز زهير

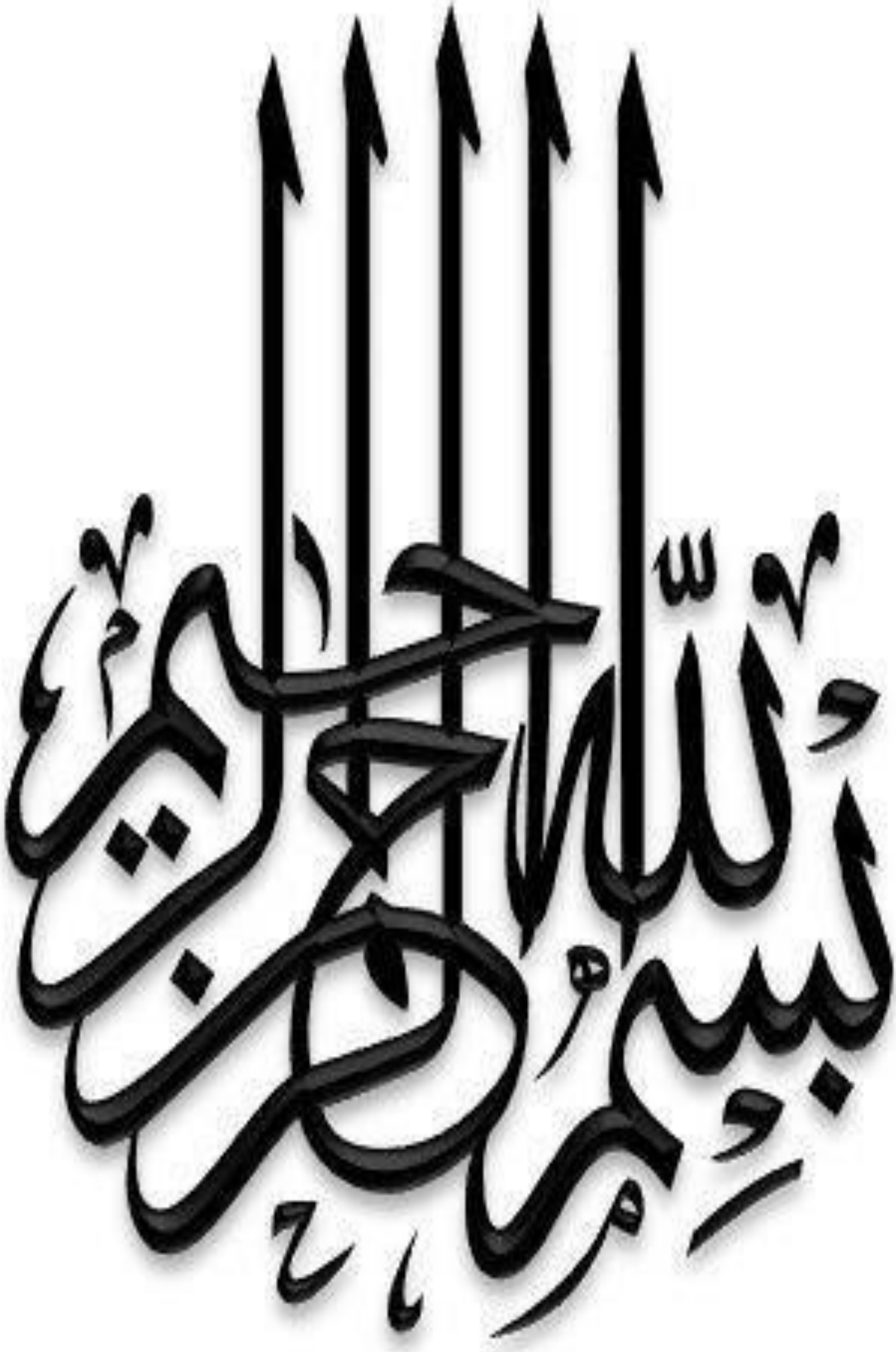
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم،

﴿وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

نشكر الله و نحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا على هذه النعمة الطيبة والنافعة نعمة العلم و البصيرة

أما بعد نوجه أصدق كلمات الامتنان والعرفان إلى الأستاذ الفاضل **عبد المجيد قديدح** مشرفنا على هذه الرسالة، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيّمة، ونصائحه الثمينة، وصبره على تصحيح مسارنا البحثي.

فكان خير معينٍ لنا حتى رأى هذا البحث النور.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الكرام، الذين تكرّموا بقبول تقييم هذا العمل، وسنكون ممتنين لملاحظاتهم واقتراحاتهم التي ستثري بحثنا دون شك.

ولا ننسى أن نشكر كل من ساندنا في رحلتنا الأكاديمية، من أساتذة، وزملاء، وأهلٍ، وأصدقاء، فلكم منا كل التقدير والاحترام.

وختامًا، نرجو أن نكون قد وفّقنا في تقديم عملٍ يُسهم ولو بجزءٍ بسيط في إثراء المعرفة.

والحمد لله رب العالمين.

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله تتحقّق الأمنيات،

ووفقني لإتمام هذا العمل الذي لطالما كان حلمًا يراودني، وطموحًا أتعبني، وسفرًا طويلًا خضته بين الأمل والانكسار.

لم يكن هذا الإنجاز يسيرًا، بل كان طريقًا محفوفًا بالعقبات، وتخلّلته أيّام عصيبة، وأوقات شعرت فيها أنني على شفا استسلام. لكنّ الله، بلطفه وكرمه، مدّني بالقوة، وألهمني الصبر، وأحاطني بأرواح عظيمة كانت سندًا ونورًا في العتمات.

إلى من كان أول دعمي، وسندًا لا يميل، وركنًا لا يميل،

إلى أبي، الرجل العظيم، والظلّ الذي استظللت به حين ضاقت الدنيا...

أهديك هذا الإنجاز، عربونَ حبٍّ وامتنان، وشيئًا بسيطًا أمام ما قدّمت لي من عمرٍ واهتمام

وإلى من كانت دعواتها سرّ النجاح، ودمعتها سراج الطريق،

إلى أمي، يا جنة الأرض، ونبع الحنان الذي لا ينضب...

أهديك كل صفحة، وكل حرف، وكل لحظة تفوق، فأنتِ من ربّت، وسهرت، وبذلت بلا كلل، فجزاكِ الله عني خير الجزاء.

إلى أخواتي، زهرات عمري، ورفيقات دربي في الفرح والحزن:ليلى، حليمة، شيماء، دعاء

وإلى أخي الوحيد، الهاشمي،

يا من كنتَ عوني، ورفيقي في السراء والضراء، لك من القلب مكان لا يزول، ومحبة لا تنطفئ.

إلى صديقاتي و خليلاتي ورفيقات دربي : نسيمة واكرام وأسماء و رزيقة ورانيا

وإلى من اختاره الله لي شريكًا في درب الحياة،

زوجي المستقبلي... يا من أراه بعين الأمل، وأنتظر لقياه بشوقٍ لا يزول.

أهديك حلمي، وقلبي، وسنوات عمري القادمة.

وإلى ثمرة الحب، ونور المستقبل

شفاء، التي ستكون شفاءً لروحي، وبردًا لقلبي، وسرّ سعادتي. وأسيد، أسد الأمّة، وحلم المجد، وراية الفخر في زمن القِلّة.

خويطر احلام

إهداء

اهدي ثمرة جهدي هاذا الي نبع الحنان امي الرؤوم وابي الغالي يا من تجرعتما الكأس فارغا لتسقياني قطرة حب وحصدتما الأشواك عن دربي فمهدتما لي طريق العلم حفظكما الله وجعلكما من عباده الصالحين

إلى اخوتي واخواتي وليد، عزدين، وسيم ، سمية نجاة ميادة،

اهدي عملي بالاخص الي أخوتي التي لم تلدهن امي يسرى، شيماء حسناء فلة

الي كتاكيتي الصغار جويرية وساجد رابح ، هدي يوسف سيف سارة هيثم لقمان حليم عمران سجود وحليم.

الي كل من كان لي عونا

لكم احبتي اهدي تخرجي

دبوشة رانيا

المقدمة

المقدمة:

تُعدّ اللغة العربية من أعرق اللغات في العالم، لما تحمله من ثراء لغوي وأبعاد دلالية عميقة، وهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، مما أكسبها طابعاً قدسياً ومكانة رفيعة في الثقافة الإسلامية. ومن أبرز تجليات هذا الثراء اللغوي ما جاء في الأحاديث القدسية.

وتعد الأحاديث النبوية، وبالأخص الأحاديث القدسية، مجالاً خصباً للدراسات اللسانية الحديثة، نظراً لما تحمله من خصائص تداولية عميقة تمسّ أفعال الكلام، والمقاصد التواصلية، وسياقات التلقي. وفي هذا السياق، تندرج هذه الدراسة الموسومة بعنوان: "الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية من الأربعين النووية – دراسة تداولية"، وذلك لعدة أسباب ودوافع، من أبرزها:

1. اقتراح الأستاذ المشرف وتشجيعه على خوض غمار هذا الموضوع الذي يزاوج بين البلاغة النبوية والنظرية التداولية الحديثة.

2. الإطلاع على أهم الجوانب التداولية في الخطاب النبوي وإبراز المقاصد التي يحملها هذا الخطاب في ضوء علم التداولية.

3. أهمية هذا الموضوع في إثراء الدراسات اللسانية، خصوصاً أنه يجمع بين الأصالة في المتن (الأحاديث القدسية) والمعاصرة في المنهج (التداولية).

تكمن أهمية هذه الدراسة في:

1. الإسهام في توظيف النظرية التداولية في تحليل نصوص شرعية تحمل أبعاداً بلاغية ودينية وروحية.

2. فتح آفاق جديدة في الدراسات اللسانية التطبيقية التي تتناول النصوص التراثية من منظور حديث.

وانطلاقاً من هذا، سعت هذه الدراسة إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية:

ما هي الخصائص التداولية التي يتميز بها الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية من الأربعين النووية؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية، من بينها:

- ما مفهوم التداولية وما أبرز مبادئها ونظرياتها؟
- ما الخصائص الأسلوبية والدلالية التي يتسم بها الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية؟
- كيف يمكن توظيف أدوات التحليل التداولي للكشف عن مقاصد الخطاب النبوي؟

وبغرض الإحاطة بموضوع دراستنا اِتبعنا المنهج الوصفي الذي تنطوي تحته عدة آليات اِجرائية كالتحليل ، المقارنة ،... و التي ساعدتنا في معالجة الموضوع الذي بين أيدينا.

الصعوبات :

لم يكن إعداد هذه المذكرة خالياً من التحديات، بل واجهتنا جملة من الصعوبات المنهجية والمعرفية، نذكر منها ما يلي:

- ❖ الطابع المركّب للموضوع: إذ يجمع بين حقول معرفية متعددة، من علوم الحديث والبلاغة النبوية، إلى أُطر اللسانيات التداولية، وهو ما تطلّب جهداً مضاعفاً في فهم المفاهيم وضبط المصطلحات.
- ❖ قلة الدراسات السابقة التي تناولت الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية من زاوية تداولية.
- ❖ تشابك المفاهيم اللسانية الحديثة مع النصوص الدينية، مما يقتضي الحذر والدقة في التعامل مع النصّ النبوي، لتجنّب الإسقاط أو التفسير الخارج عن السياق الشرعي أو العلمي.

وقد اقتضى بناء البحث تقسيمه إلى: مقدمة، فصلين، وخاتمة؛ تناول الفصل الأول الجانب النظري، من خلال تعريف التداولية ونشأتها وأهم مفاهيمها، بالإضافة إلى إبراز خصوصية الخطاب النبوي؛ أما الفصل الثاني، فقد خصص للجانب التطبيقي من خلال تحليل عيّنة مختارة من الأحاديث

القدسية الواردة في "الأربعين النووية"، بغية الكشف عن بنيتها التداولية ومقاصدها الخطابية، ثم خُتم البحث بأهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها.

ولإثراء هذا البحث، تم الرجوع إلى عدد من المصادر من بينها:

- ✓ كتاب التداولية عند علماء العرب لمسعود صحراوي.
- ✓ كتاب شرح شرح نخبة الفكر للعلامة علي بن سلطان محمد الهروي القاري.
- ✓ كتاب الأربعين النووية للإمام يحي بن شرف النووي.

واطلعنا على عينة من الرسائل والمذكرات الجامعية كدراسة سابقة منها:

- ✓ الاحاديث القدسية (دراسة بلاغية)، مروى إبراهيم شعبان قوتة، الجامعة الإسلامية غزة.
- ✓ مقالة في فلسفة اللغة، ترجمة: فتحي المسكيني.

ونأمل في الأخير من اساتذتنا الأفاضل أن يغفروا لنا تطفلنا على مثل هذه الدراسة.

وبكلِّ امتنانٍ وتقديرٍ، نُعبِّرُ عن خالصِ شُكرِنا للأستاذ **المشرف الدكتور عبد المجيد قديدح** لِما بذلهُ من جهدٍ وعطاءٍ خلالَ هذهِ الرِّحلة. فَما كانَ توفيقُنا إلَّا بِفضْلِ الله أولا و بفضلِ توجيهاتِكم الحكيمةِ وصبرِكم الكريم.

لقدْ كنتمْ نبراسَ علمٍ ونموذجًا يُحتذى بهِ في الأخلاقِ والعملِ الجادِّ. فجزاكمُ اللهُ خيرَ الجزاءِ، ورفعَ قدرَكم، وأسعدَكم في الدُّنيا والآخرة.

والشكرُ ليسَ كلماتٍ تُقالُ، بلْ هوَ عهدٌ نحملهُ في قلوبِنا، نُترجمهُ بالاجتهادِ ليكونَ صدىً يُليقُ بكم.

الفصل الأول :

مدخل مفاهيمي: الخطاب النبوي، الحديث القدسي والتداولية

تمهيد:

يُعدّ الخطاب من أبرز المفاهيم المتداولة في مختلف العلوم الإنسانية، لما يحمله من أبعاد لغوية واجتماعية وثقافية. وقد نال اهتمامًا واسعًا في الدراسات الحديثة، خاصة في مجالات اللسانيات والتداولية وتحليل الخطاب.

غير أنّ تحديد مفهوم الخطاب ليس أمرًا هيّنًا، إذ تتعدد التعريفات بتعدّد المناهج والمقاربات، مما يجعل الإحاطة به تحتاج إلى نظرة شمولية تستعرض أبرز التصورات القديمة والحديثة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

المطلب الأول :مفهوم الخطاب:

أ- الخطاب لغة:

الخطاب في اللغة مأخوذ من "خَطَبَ يَخطُبُ خُطبةً وخِطابًا"، وهو الكلام الموجَّه إلى الآخر، سواء كان فردًا أو جماعة، ويُقال: "خاطبه مخاطبةً وخِطابًا" إذا كلمه مباشرة.

وقد ورد في لسان العرب: "الخِطاب: مصدر خاطبته، والخُطبة الكلام المنثور المسجوع، وقولك: خَطَبَ القوم، أي ألقى إليهم كلامًا مؤثرًا"[1].

كما جاء في المعجم الوسيط: *"الخطاب: الكلام الذي يُوجَّه إلى شخص أو جماعة لغرض ما"[2].

ب- الخطاب اصطلاحًا:

الخطاب في الاصطلاح له دلالات متعددة باختلاف الحقول العلمية (اللسانيات، الفلسفة، تحليل الخطاب، التداولية...).

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مادة "خطب"، دار صادر، بيروت، ط1، 1956، ج1، ص: 412.
[2] - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط3، 2004، ج1، ص: 250.

وقد عرّفه ميشال فوكو بأنه: "نظام من العبارات التي تُنتج المعرفة ضمن إطار ثقافي معيّن، وهو ليس مجرد كلام بل هو ممارسة لها علاقة بالسلطة والمعرفة"[1].

أما تزفيتان تودوروف فيقول: "الخطاب هو استعمال اللغة في سياق تواصلي، يتضمّن ذاتًا متكلّمة ومخاطبًا وموضوعًا، ويهدف إلى التأثير والتوجيه"[2].

ويُعرّف تمام حسان الخطاب بأنه: "تتابع من الجمل المترابطة دلاليًا، والتي تشكّل في مجموعها وحدة لغوية تحمل مقصدًا تواصليًا واضحًا"[3].

ومن خلال هذه التعريفات، يمكن القول أن الخطاب هو: نصّ شفهي أو كتابي موجَّه ضمن سياق معيّن، يحمل أبعادًا لغوية واجتماعية وثقافية، ويهدف إلى إبلاغ فكرة أو تحقيق تأثير معين لدى المتلقي.

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب النبوي:

الخطاب النبوي هو ذلك النتاج اللغوي الصادر عن النبي محمد ﷺ، سواء كان وحيًا غير متلو (كالحديث القدسي) أو من أقواله وأفعاله وتقريراته، ويهدف إلى تبليغ الرسالة، وهداية الأمة، وتقويم السلوك، بأسلوب يجمع بين البلاغة والتوجيه والإقناع، ويتميّز بطابع تعليمي وتربوي وروحي. ويُعدّ هذا الخطاب جزءًا من الوحي الإلهي، لكنه يراعي السياقات المختلفة، ويُوظّف وسائل لغوية وتداولية تخدم مقاصده التبليغية والتأثيرية.

وقد عرّفه بعض الباحثين بأنه: "مجموعة من الأقوال والأفعال النبوية التي تتضمن توجيهًا أو تبليغًا أو تعليمًا، تصدر عن النبي ﷺ، وتتميّز بخصائص بلاغية وتداولية خاصة، تجعلها ذات أثر فعّال في المخاطَبين" [4].

[1] - Michel Foucault, L'ordre du discours, Paris: Gallimard, 1971. الترجمة العربية: ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد بنيس، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986، ص: 23.

[2] - Tzvetan Todorov, Les genres du discours, Paris: Seuil, 1978. الترجمة: تزفيتان تودوروف، تحليل الخطاب، ضمن النقد البنيوي، ترجمة محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1990، ص: 55.

[3] - تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1980، ص: 312.

[4] - الجابري، عبد الله. الخطاب النبوي: دراسة في البنية والوظيفة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012، ص. 45.

وحظي الخطاب النبوي مكانةً رفيعة في الدراسات اللغوية والشرعية، كونه يمثل النمط المثالي للبلاغة الإنسانية الهادفة، وقد تباينت تعاريف العلماء والمفكرين لهذا الخطاب باختلاف مناهجهم وزوايا تناولهم. فمنهم من نظر إليه من الجانب اللساني التداولي، ومنهم من ركّز على بعده التشريعي، بينما رأى فيه آخرون امتدادًا للبيان القرآني. وفي هذا السياق، يُعرف الدكتور مسعود صحراوي الخطاب النبوي بأنه: "نسق من الأفعال الكلامية المتنوعة الصادرة عن النبي ﷺ في مقام تبليغ الرسالة، يتوجه بها إلى جماعة معينة بقصد إفهامهم وتحقيق تأثير معين فيهم"[1]. ويبرز هذا التعريف الطابع التداولي للخطاب، إذ يجعله فعلًا تواصليًّا محكومًا بالسياق والمقصد وطبيعة المخاطب.

ومن جهة أخرى، يرى الدكتور أحمد المتوكل، وهو من رواد اللسانيات التداولية في العالم العربي، أن الخطاب النبوي يُعد نموذجًا مثاليًّا للخطاب الإسلامي، كونه يصدر عن نبي يوظف اللغة في أسمى مقاصدها: الهداية، التربية، والتهذيب[2]. وهو ما يجعل الخطاب النبوي يندرج ضمن الخطابات التي تتجاوز الوظيفة الإخبارية إلى الوظيفة التأثيرية والتوجيهية. أما اللساني والمفكر تمام حسان، فقد ذهب إلى أن الخطاب النبوي "امتداد للبيان القرآني، يقوم بوظيفة الشرح والبيان والتطبيق، ويعتمد على اللغة باعتبارها أداة تبليغ وتشريع"[3]. وهذا ما يؤكد دور الحديث النبوي في تفصيل المجمل، وتقييد المطلق، وبيان ما أشكل من نصوص الوحي.

ومن الزاوية الأدبية التاريخية، يصف ابن خلدون في مقدمته أسلوب النبي ﷺ بأنه في أعلى مراتب البيان، جامعًا بين الإعجاز، وحسن التأتي، ونظم الحجة، وقوة الإقناع[4]. مما يدلّ على أن الخطاب النبوي لم يكن يُلقي الكلام جزافًا، بل كان يستند إلى بصيرة لغوية عالية، وإدراك تام لأحوال المخاطبين ومقامات الكلام.

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن القول إن الخطاب النبوي يجمع بين البعدين التداولي والبلاغي، إذ يراعي السياق والمقام والمخاطب، ويُنتج تأثيرًا مقصودًا بدقة. وهو خطاب يتسم بالوضوح،

[1] - صحراوي، مسعود. تحليل الخطاب النبوي: دراسة تداولية. الجزائر: دار القصبة، 2005، ص 12.
[2] - أحمد المتوكل، اللسانيات واللغة العربية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 1998، ص 89.
[3] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: دار الثقافة، 1985، ص 147.
[4] - ابن خلدون. المقدمة. بيروت: دار الفكر، ص 341.

والإقناع، والرحمة، والتوجيه التربوي، وقد مثّل أعلى درجات التواصل البشري الهادف، مستثمرًا إمكانات اللغة العربية في أقصى طاقاتها.

المطلب الثالث: التداولية مفهومها وقضاياها:

أولا مفهوم التداولية: لغةً واصطلاحًا

أ- التداولية لغةً

تعود كلمة "تداولية" إلى الجذر العربي (د-و-ل)، الذي يحمل دلالة التناوب والتبادل. جاء في لسان العرب لابن منظور:

"تداولوا الشيءَ بينهم: تعاقبوه وتناقلوه"[1]،

أي تعاقبوا على الشيء وتناقلوه فيما بينهم، ومن هذا الأصل الاشتقاقي جاءت فكرة التبادل في المواقف والسياقات التي تُستخدم فيها اللغة.

ولأن اللغة في التداولية تُفهم بوصفها نشاطًا تفاعليًا بين أطراف متكلّمة، فإن الجذر اللغوي يعكس بدقة طبيعة المفهوم التداولي القائم على الأخذ والرد والتبادل بين المتكلمين في سياقات التواصل المختلفة.

ب- التداولية اصطلاحًا

التداولية – أو "البراغماتية" (Pragmatics) – فرع حديث نسبيًا من اللسانيات، يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمستخدمين، أي أنه لا يركّز فقط على البنية النحوية للجملة أو معناها القاموسي، بل يتجاوز ذلك إلى ما يقصده المتكلّم، وكيف يفهمه المخاطب، وفقًا للسياق الذي قيل فيه الكلام.

وقد ظهرت التداولية كردّ فعل على قصور اللسانيات البنيوية والتوليدية التي كانت تركّز على الجملة بوصفها وحدة تحليل منعزلة عن السياق. ومن بين التعريفات التي وردت في الفكر الغربي:

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (د و ل)، دار صادر، بيروت، ط3، ج11، ص 232.

1. **ستيفن ليفنسون (Stephen Levinson)**: يُعدّ من أبرز روّاد التداولية الحديثة، وقد عرّفها بقوله:

"التداولية هي دراسة العلاقة بين اللغة ومستعمليها"[1]،

وهو تعريف يبيّن أن المعنى لا يُفهم فقط من خلال اللغة، بل من خلال الفاعل الذي يستخدمها، والظروف المحيطة بالاستخدام.

2. شارل موريس (Charles Morris): قسّم علم الدلالة إلى ثلاثة مجالات:

نحوي

دلالي

تداولي

وعرّف هذا الأخير بأنه:

"دراسة العلاقة بين العلامات ومستخدميها"[2]،

أي كيف يُنتج الناس العلامات (الكلمات، الجمل...) ويؤولونها بحسب حاجاتهم ومقاصدهم ونجد أيضا تعريفات التداولية في الفكر العربي الحديث:

1. **تمام حسان:** من أوائل اللغويين العرب الذين ألمحوا إلى المفهوم التداولي في دراساتهم، إذ يرى أن:

"التداولية تعالج الجانب الاستعمالي للغة، من حيث صلتها بمستعمليها ومواقف الاستعمال"[3]،

فاللغة لا يُمكن أن تُفهم على نحو كامل دون النظر إلى سياقها ومقصد المتكلّم.

[1] - Levinson, Stephen C., Pragmatics, Cambridge University Press, 1983, p. 5.

[2] - Morris, Charles, Foundations of the Theory of Signs, University of Chicago Press, 1938.

[3] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، القاهرة، ط4، 2006، ص 324.

2. **مسعود صحراوي:** يُعد من أكثر الباحثين العرب المعاصرين اهتمامًا بالتداولية، وقد قال في تعريفها:

"التداولية تهتم بدراسة اللغة في سياقاتها، وفي العلاقات التفاعلية التي تنشأ عن الخطاب، فتتجاوز حدود الجملة إلى مجمل المقام التداولي"[1]،

مؤكِّدًا بذلك أن التداولية تتجاوز البنية وتهتم بـ أثر الخطاب ووظيفته في الحياة اليومية.

3. عبد السلام المسدي: أشار إلى البعد الوظيفي للتداولية، حيث قال:

"التداولية تفسير للغة من حيث هي سلوك تواصلي وظيفي، يتفاعل فيه الملفوظ مع السياق، ويُفهم فيه القصد من ورائه"[2]،

فاللغة ليست وسيلة للتوصيل فقط، بل هي أداة لتحقيق أفعال وتغيير مواقف.

ثانيا: قضايا التداولية :

تقوم التداولية على قضايا تمثل الدرس التداولي لكونها موجودة في جميع الخطابات والتي تعد من صميم الدرس التداولي والسياق والأفعال الكلامية، القصدية.

أولا: السياق:

أ- **السياق لغة** : من الجذر اللغوي(س ـو ـ ق) سوقته ورأيته يسوق سياق أي ينزع نزعا عند الموت.

وجاء في معجم الوسيط السياق المهر وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[3].

أما ابن فارس فقال:(السين والواو والقاف) أصل واحد وهو حد الشيء يقال ساقه يسوقه سوقا والسّيقة ما استيق من الدواب ويقال سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته والسوق مشتقة من

[1] - مسعود صحراوي، تحليل الخطاب: من اللسانيات إلى التداولية، دار القصبة، الجزائر، 2004، ص 51.
[2] - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981، ص 219.
[3] ـ احمد بن فارس زكريا؛ معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، م3، ص117.

هذا بما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق والساق للإنسان وغيره والجمع مسوق أنها سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها. [1]

ب- السياق اصطلاحا :

وتعرف خلود العموش بقولها :"أنّ السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والإبلاغية لدى كل منتج الكلام والمتلقي وأنه ركن أساس في فهم الرسالة اللغوية. "[2] ففي هذا الصدد يقول ابن قيم الجوزية:" السياق يرشد إلى شيئ المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتنفيذ المعاني وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره و غالط في مناظرات.

كما استعان المفسرون بالسياق واهتموا به اهتماما كبيرا باعتباره وسيلة مهمة لاستجلاء المعنى المقصود للشارع الحكيم من النص القرآني إذ هو المصدر الأول للعقيدة والأحكام الإسلامية وهو بهذه الإعتبارات اكتسب ثوب الجلال والتقديس.[3]

ويرتبط السياق بظهور المنهج التداولي فهو مفهوم مركزي يمتلك طابعه التداولي إلا أننا لا نعرف أين يبدأ وأين ينتهي. [4]

وينقسم السياق إلى أربعة أنواع فمنهم من أسماها بالسياق ومنهم من أسماها بأنماط السياق ولكن رغم تعدد التسميات يبقى المعنى وأحد ولا يتغير وهذه الأنواع كالآتي :

1_ السياق اللغوي: وهو مجموعة التي تحجج على مدلول الخطاب وقد عرفه ردة الله بن ردة قائلا : " إن السياق اللغوي هو الأرض الخصبة التي تبنى فيها المباني اللغوية بنوعيها الوظيفيه والمعجمية".[5]

[1] _ إبن منظور جمال الدين ابن مكرم؛ لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، م10، ط6، ص167.

[2] _ خلود العموش؛ خطاب قراني، عالم الكتب الحديث، (الأردن)، ط1، 2008، ص26.

[3] _ردة الله الطلحي؛ دلالة السياق مكنية نهد الوطنية، (مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية)، ط1، 1423، ص105.

[4] _ أرمينكو فرانسواز؛ المقاربة التداولية ،ص48.

[5] _ردة الله الطلحي؛ دلالة السياق مكتبة الملك نهد الوطنية (مكة المكرمة المملكة السعودية) ، ط1، 1423هـ ، ص103.

2_ **السياق غير اللغوي:** وهو الذي يضم الظروف الإجتماعية التي تحدد مدلول الخطابات.

3_ سياق الموقف: ويتضمن الغايات الممارسة من خلال الخطاب وقد عرفه أحمد مختار عمر: سياق الموقف بأنه :"الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة. "[1]

السياق المقام (الحال) : ويضم هذا الأخير الأشخاص وعلاقاتهم الإجتماعية ومستوى وعيهم و إدراكهم.

ثانيا:الفعل الكلامي:

يعتبر الفعل الكلامي من أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية وأنه أصبح نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية.

فالفعل الكلامي حسب مسعود صحراوي هو كل من ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية "كالطلب والأمر، الوعد ،الوعيد..." وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول[2] إذا فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثيرا في المخاطَب إجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثمة إنجاز شيء ما. [3]

إذا الفعل الكلام يحسب مسعود صحراوي هو تحريف اللغة بواسطة فعل فردي إستعمالي. [4]

فالكلام يتمثل في تبليغ الغير بعض المعلومات عن الشيء الذي يتم الكلام في شأنه لكنه يتمثل أيضا في فعل المحاولة للتأثير في المخاطب، بل في العالم المحيط فعوض أن يكون الكلام مقابل الفعل ينبغي أن يكون القول في حد ذاته شكلا ووسيلة عمل.[5]

[1] _ ينظر: احمد مختار؛ علم الدلالة، علم الكتب، القاهرة، ط5 ، ص 70.

[2] _ مسعود صحراوي ؛ التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ، ص39

[3] _المرجع نفسه، ص40.

[4] _ ينظر: مسعود صحراوي ؛ التداولية عند علماء العرب، ص10.

[5] _ تاتريكشارودو دومينيك مونغو ؛ معجم تحليل الخطاب، عبد القادر المهري وحمادي صمود ،ص20.

فالكلام هو أن نفعل بمعنى واضح هو مثلا فعل في الآخرين وبمعنى غير ظاهر ولكنه واقعي _تدشين معنى_ والقيام على كل حال بفعل كلام إذ يوجه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر دقة وأكثر شمولية للتفاعل والتسوية.[1]

أي عندما يتكلم المتكلم يكون الفعل قائم على الإنجاز لغرض ما ويحدث التأثير عند المتلقي.

من هذا المفهوم تأسست نظرية أفعال الكلام التي تعتبر مركزا أساسيا في التداولية .

1-1 بنية الفعل الكلامي عند اوستن:

لقد توصّل اوستن في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام وهي[2]:

1-**العمل القولي (الفعل القولي)**: ويتمثل في انتاج أصوات سليمة من الناحية الصرفية وبالتالي يقضي إلى إنتاج معنى ومرجع [3]ويعرف أيضا على أنه عمل يقضي إلى إنتاج المعاني بالمفهوم التقليدي المتمثل في ضبط المعنى وما يحيل إليه المرجع [4] ويشكل العمل القولي أو الفعل القولي ثلاثة أفعال :"الفعل الصوتي والفعل التركيبي والفعل الدلالي." [5]

2-**الفعل المتضمن في القول**: وهي أيضا فعل قوي الكلام أو يسمى أيضا بالفعل الإنجازي أو الغرضي وكما عرفه أوستن هو الفعل الخاصة والمحدد الذي يقصد المتكلم إلى تحقيقه من وراء إنتاجه ملفوظا معينا داخل مقام تخاطبي محدد فهو إنجاز فعل في حال قول شيء ما مع مراعاة مقتضى الحال.[6]

أي الفعل الانجازي يعمل على المقصود بالقول وأنه ذا إرادة دلالية صياغته على الفعل.

---

[1] _فرانس واز أرمينكو ؛ المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، ص10.

[2] _ محمد مدور؛ الافعال الكلامية في القرآن الكريم، ص41.

[3] _ معاذ بن سليمان الخيل؛ منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ،مقاربة تداولية، ص41.

[4] _ أحمد مختار عمر، الانشاء في العربية بين الانشاء والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص497.

[5] _ ينظر: التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية،لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،ص57.

[6] _ نظرية أفعال الكلام العامة،ص120.

3- فعل التأثير:

ويقصد به الأثر الذي يحدث الفعل الانجازي في المرسل إليه فالفعل الإنجازي يسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر من أمثلة ذلك الإرشاد والإقناع. [1]

وخلاصة القول أن إنتاج الفعل الكلامي حسب أوستن يستلزم ثلاثة أفعال متزامنة منها ما يتعلق بالمرسل فعل القول وفعل المتضمن القول ومنها ما يتعلق بالمرسل إليه الفعل (الناتج عن القول).

1-2: الأفعال الكلامية عند سيرل:

يعد سيرل أول من أوضح فكرة أوستن وشرحها وقد صدر كتاب الأفعال اللغويه ج سيرل وهو تلميذ ج أوستن ولقد استفاد من أفكار أساتذته فيما يخص نظرية أفعال الكلام وكان اهتمامه مركز على الفعل الإنجازي في حين جعل الأفعال الإنجازية شروط بحيث طبقها تطبيقا محكما وهي :[2]

المحتوى القضوي: وهي المعنى الأصل للقضية التي تدور بين المتحدث به والمتحدث عنه.

الشرط التمهيدي : ويعني أن يكون السياق مبررا لفعل الكلامي وأن يكون المتكلم قادرا على إنجاز القول ومثال ذلك فعل الوعد يجب أن يكون هناك ما يدعو إلى الظن بأن المتحدث قادر على تنفيذ ما وعد به وهذه الشروط تستخدم لتحليل الأفعال الكلامية مثل: الأوامر طلبات ،الوعد ،الاعتذار، الشكر....إلخ .

نستنتج من خلال ما قدمه ج أوستن وسيرل أن نظرية الأفعال الكلامية في أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية واعتبرت نقطة تحول نحو ما تعرفه اليوم في مجال نشأة التداولية.

المطلب الثالث: مفهوم الحديث القدسي:

أولاً : الحديث لغة :

[1] _ ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة ،ص121.

[2] _ محمود احمد نحلة؛ أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص48.

يرى أبو هلال العسكري أن الحديث – في الأصل – هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك، وسمي حديثاً لأنه لا تقدم له ، وإنما هو شيء حدث لك فحدثت به.[1]

الحديث في اللغة له معان ثلاثة:

الأول: الحديث بمعنى الجديد الذي هو ضد القديم، تقول: لبست ثوبا حديثا، أي: جديدًا، وركبت سيارة

حديثة، تعني: سيارة جديدة.

الثاني: الحديث بمعنى الكلام، ومنه قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ [الزمر: ٢٣]، أي: نزل أحسن الكلام، وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات : ٥٠]، أي: إن لم يؤمنوا بالقرآن الكريم، فبأي كلام بعده يؤمنون.

الثالث: الحديث بمعنى الخبر والنبأ، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [النازعات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية : ١].[2]

تعريف الحديث القدسي :

هي ما نقل إلينا أحادا عنه صلى الله عليه وسلم ، مع اسناده لها عن ربه فهي من كلامه تعالى فتضاف إليه وهو الأغلب ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولا وقد يضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه المخبر بها عن الله تعالى .[3]

والحديث القدسي في تعريف اخر هو الذي يضيف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قولا إلى الله تعالى فكل حديث يضيف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قولا إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسي لكن إضافه الرسول صلى الله عليه وسلم كلامه إلى الله تعالى لا يخرج الحديث القدسي من كونه نوعا من الحديث لأن للحديث أنواع كثيرة متنوعة والحديث القدسي نوع من جملة أنواع

[1] _ أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله ؛ الفروق اللغوية (395 هـ)، نشر مكتبة القدس ،القاهرة ،1353 هـ ،ص 28.

[2] _ علي بن سلطان محمد الهروي القاري ؛ شرح شرح نخبة الفكر ، دار الكتب العلمية ص 41 -42.

[3] _ جمال محمد علي الشقيري الأحاديث القدسية؛ الجزء الأول و الثاني ، ،kitab INC ، ص 7.

الحديث وأن الحديث القدسي هو الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم مسندا الى الله عز وجل فالرسول ناقل لهذا الكلام راوٍ له ،ولكن بلفظ من عنده هو يبتدئ بذلك صريحا فيما ينقل الرواه في آخر سند الحديث قال رسول الله قال الله تعالى أو قال رسول الله فيما يروي عن ربه عز وجل "[1] و معنى هذا أن الحديث القدسي هو كلام الله تعالى الذي يرويه النبي ﷺ بلفظه أو بمعناه، لكنه ليس قرآنًا. يتميز عن القرآن بأنه غير معجز ولا يُتعبد بتلاوته، وعن الحديث النبوي بكون معناه من الله، لكن لفظه من النبي ﷺ. يرد بصيغ مثل: "قال الله تعالى" أو "فيما يروي عن ربه". وهو مصدر مهم للعقيدة والأخلاق، فيه توجيهات ربانية تحث على الإيمان، الرحمة، والتقوى.

وفي تعريف آخر الحديث القدسي نسبه إلى القدس والقُدْس هو الطهارة والتنزيه، ويطلق عليه الحديث الإلهي نسبه للإله والحديث الرباني نسبه للرب جل وعلا، وهو في الإصطلاح ما أضافه الرسول صلى الله عليه وسلم وأسنده إلى ربه عز وجل من غير القرآن .

مثاله :"قال الله يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا"[2]

المطلب الرابع : الفروق بين الحديث القدسي والحديث النبوي والقرآن:

1- الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي :

فرق بين الحديث النبوي والحديث القدسي : رأى جمهور المحدثين أن الحديث القدسي كالحديث النبوي كلاهما معناهما من الله تبارك وتعالى، ولفظهما من النبي . وإنما أضاف النبي ﷺ الحديث القدسي إلى الذات المقدسة للإشعار بأهمية الحديث، أو لزيادة التنبيه عليه.

ورأى فريق من المحدثين أن لفظ الحديث القدسي هو ما كان لفظه ومعناه من الله تعالى وأن لفظ الحديث النبوي من النبي ﷺ ومعناه من الله عز وجل.[3]

[1] _ صديقي ساجد الرحمن ؛ المعجم الحديث في علوم الحديث، جامعة بروناي ، دار السلام ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ص 50.

[2] _ محمد بن علوي المالكي الحسني ؛ المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف، ،دار الكتب العلمية DKI ،(بيروت لبنان) ص 45.

[3] _ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي ؛ عقود الدرر في علوم الأثر ، دار الكتب العلمية DKI (بيروت، لبنان) ص 124.

و الحديث النبوي ينسب إلى رسول الله ويحكى عنه، أما القدسي فنسبته إلى الله تعالى، والرسول يحكيه ويرويه عنه عز وجل، ولذلك قيد بـ "القدسي" فقيل فيه: حديث قدسي نسبة إلى الله تقدس سبحانه، وقيد الآخر إلى النبي ﷺ فقيل فيه حديث نبوي نسبة إلى النبي ، وإن كانت جميعها صادرة بوحي من الله عز وجل؛ لأن الرسول ﷺ لا يقول إلا الحق: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم: 3-4).[1]

2- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن:

فالحديث القدسي : هو الموحى إليه ﷺ معناه ليعبر عنه بلفظه، وينسبه إلى الله تعالى؛ ولذا كان الأغلب فيه أنه بغير واسطة الملك، بل بالإلهام أو المنام، فيعبر النبي ﷺ عن ذلك المعنى، مع نسبته له إلى ربه عز وجل، كقوله ﷺ: قال الله تعالى: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

وفارق القرآن من وجوه :

منها: أن ألفاظ القرآن بأعيانها منزلة كمعانيه على الصحيح؛ لأنه اسم للفظ والمعنى، وألفاظ الحديث القدسي ليست كذلك.

ومنها: أن ألفاظه معجزة؛ لأنها نزلت للتحدي دون ألفاظ الحديث القدسي.

ومنها: أن القرآن من أوله إلى آخره نزل بواسطة الملك – جبريل عليه السلام –، والحديث القدسي تارة يكون بواسطة الملك،– جبريل عليه السلام–، وتارة بالإلهام، وتارة بالرؤيا.

فإن قلتَ: هل النازل بجميع الكتب السماوية هو جبريل عليه السلام ؟

قلتُ: نعم، هو النازل بالكل، إلا أن إسرافيل عليه السلام كان ينزل على نبينا ﷺ أحياناً، لكن لا بالقرآن، بل بالكلمة أو الكلمتين من الوحي الذي ليس بقرآن، هذا هو الصحيح، وعليه المعول.

[1] _ محمد مختار المفتي؛ المنهج الحديث في علوم الحديث، الطبعة الأولى، أمواج للنشر والتوزيع ،(عمّان– الأردن) ص 37.

ومنها: أن القرآن لا يجوز مسه للمحدث دون الحديث القدسي.

ومنها: أن القرآن يُعطى قارئه لكل حرف عشر حسنات، والحديث القدسي لم يرد في حقه ذلك.

ومنها: أن القرآن لا بد للصلاة منه، ولا تجوز الصلاة بدونه، والحديث القدسي لا يجزئ في الصلاة، بل يفسدها.[1]

3- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي :

أوجه التشابه	القرآن	الحديث القدسي	الحديث النبوي
المصدر	من الله لفظا ومعنى	المعنى من الله واللفظ من الرسول	من النبي لفظا ومعنا
اللفظ	من الله تعالى	من النبي صلى الله عليه وسلم	من النبي صلى الله عليه وسلم
الاعجاز	معجز بلفظه	غير معجز	غير معجز
التعبد بتلاوته	يتعبد بتلاوته (يقرأ في الصلاة)	لا يتعبد بتلاوته	لا يتعبد بتلاوته
الرواية بالمعنى	لا تجوز	تجوزعند بعض العلماء	تجوز
الكتابة في المصحف	يكتب في المصحف	لا يكتب في المصحف	لا يكتب في المصحف
بدأ النص غالبا	بسم الله الرحمن الرحيم	قال الله تعالى / يقول الله عزوجل	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
التواتر	نقل بالتواتر	قد يكون متواتر او احاد	يشمل المتواتر والاحاد
الاستدلال الفقهي	مصدر أساسي للتشريع	يستدل به	يستدل به في الفقه والتشريع

[1] _ عصام أبو اليزيد محمد عبد الله؛ أربع رسائل في الحديث وعلومه تحقيق ودراسة ، الكتاب الأول التبصرة في شرح تذكرة ابن الملقن للامام محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان الديمي (905هـ) دار الكتب العلمية DKI، (بيروت لبنان) ص 301_303.

المبحث الثاني : السمات البلاغية والدلالية في الخطاب النبوي القدسي:"بين القصدية والتأثير"

المطلب الأول : السمات البلاغية في الاحاديث القدسية:

بلاغة النبي ﷺ :

تحتل البلاغة النبوية الذروة العليا من البيان في الأدب العربي ، فقد قال أوس بن حبيب الضبي العالم بالأدب وإمام نحاة البصرة في عصره ... ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله [1]، ولكن هذه البلاغة تبقى في حدود البيان الإنساني أو بلاغة البشر ، ولا تصل كما نرى طبيعة الحال إلى درجة البيان القرآني الذي بلغ حد الإعجاز ، وقد سئل الباقلاني بقوله : هل كلام النبي معجز ؟ وأجاب بقوله : إن هناك فرقا بين القرآن وكلام النبي وإن كان النبي أفصح العرب ، والفرق بينهما هو الفرق بين كلام الله ، وكلام البشر [2].

فالبلاغة النبوية في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية ، وبلاغة النبي تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء ، ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد : كان محمد ﷺ فصيح اللغة ، فصيح اللسان ، فصيح الأداء ، كان فصيحاً مبلغا على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية ، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين .

فكلامه على جهة الصناعة اللغوية والبيانية مسدد اللفظ محكم الوضع ، جزل التركيب ، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ، فحم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه وضريبه في التأليف والتنسيق ، ثم لا ترى فيه خرما مضطرباً .[3]

فقد وصف الجاحظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

---

[1] - عدنان زرزور، بلاغة النبي، بحث منشور في مجلة مركز البحوث الستة و السيرة، العدد 5 ص 235

[2] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص17.

[3] _الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية)،مروة إبراهيم شعبان قوتة، إشراف الأستاذ الدكتور/نعمان شعبان علوان ،الجامعة الإسلامية _غزة _ عمادة الدراسات العليا ،كلية الآداب، قسم اللغة العربية. ص 7

هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثرت معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد: (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [1]كيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعير، واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي؛ فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويُسر بالتوفيق ....

هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامعين إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يُسهب ولا يحصر.[2]

فقد امتاز كلامه صلى الله عليه و سلم بالجاذبية، حظي بالقبول، جمع بين الوقار والعذوبة، يسهل فهمه دون الحاجة لتكرار أو شرح مطول. لم يُعرف عنه زلل في لفظ، ولا ضعف في حجة، ولا عجز في مواجهة. فبكلمات قليلة كان يختصر معاني واسعة، ويبلغ الغاية في البيان.

ويضيف الجاحظ ، ثم لا يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين فحوى من كلام النبي ﷺ .

ونرى في كلام الجاحظ أنه تحدث عن سمتين من سمات النبي ﷺ البلاغية (الأولى) قلة الحروف ، والكلمات ، وكثرة المعاني ، وهي السمة المعبر عنها بجوامع الكلم ، والسمة الثانية تنزه البلاغة النبوية عن الصنعة والتكلف وقد ذكر الجاحظ الكثير الكثير من الكلام النبوي الذي يدل على ما ذهب إليه في وصف البلاغة النبوية منها :

[1] _ سورة ص : آية ٦٨ .

[2] _ محمد سعيد رمضان البوطي؛ في الحديث الشريف و البلاغة النبوية ،دار الفكر،آفاق معرفة متجددة ص 48

اليد العليا خير من اليد السفلي وابدأ بمن تعول

– **وقوله** ﷺ : يقول ابن آدم مالي مالي ! إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو ما تصدقت فأمضيت[1] .

ويقول الرافعي في النسق البلاغي للنبي ﷺ : "إنك إذا نظرت إلى كلام النبي من جهة الصنعة اللغوية رأيته مسدد اللفظ محكم الوضع ، جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ، فحم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه ، واللفظ وخبرته في التأليف والنسق .... .

وإذا نظرت في الجهة البيانية رأيته حسن المعرض بين الجملة ، واضحالتفصيل ظاهر الحدود ، جيد الرصف متمكن المعنى ، واسع الحيلة في تصريفه بديع الإشارة ، غريب اللمحة ، لا نرى فيه غريب ولا استكراه .[2]

و من هنا فإن بلاغة النبي حسب الجاحظ تتلخص في :

- **أعم نفعًا:** مفيد في كل زمان ومكان.
- **أقصد لفظًا:** كلمات دقيقة وموضوعة بحكمة.
- **أعدل وزنًا:** كلام متوازن إيقاعًا ومعنى.
- **أجمل مذهبًا:** أسلوبه جميل.
- **أكرم مطلبًا:** أهدافه سامية.
- **أحسن موقعًا:** يأتي كلامه في المكان المناسب.
- **أسهل مخرجًا:** سهل الفهم والنطق.
- **أفصح معنى وأبين فحوى:** المعاني واضحة وصحيحة.

رأي الرافعي في بلاغة النبي ﷺ:

[1] - أخرجه مسلم و الترميذي والنسائي و الإمام أحمد.

[2] _ مروة إبراهيم شعبان قوتة، إشراف الأستاذ الدكتور/نعمان شعبان علوان؛ الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية) ، الجامعة الإسلامية _غزة _ عمادة الدراسات العليا ،كلية الآداب، قسم اللغة العربية. ص 9

من جهة الصنعة اللغوية:

- **مسدد اللفظ**: الكلمات دقيقة ومناسبة.
- **محكم الوضع**: الكلمات موضوعة في مكانها الصحيح.
- **جزل التركيب**: الجمل قوية وواضحة.
- **متناسب الأجزاء**: الجمل مرتبطة مع بعضها بشكل متوازن.

من جهة البيان:

- **حسن المعرض بين الجمل**: الجمل مترابطة بسلاسة.
- **ظاهر الحدود**: المعاني واضحة.
- **جيد الرصف**: ترتيب الكلمات ممتاز.
- **بديع الإشارة وغريب اللمحة**: بلاغة دالة تؤثر في النفس.

ويقول الرافعي أن النبي سلمت له جهات ثلاثة : الحكمة واللغة والبيان" مرة واحدة ، ثم جاءت على أتمها وأكملها .

وهذه السمة تلخص نحت سمة الكمال والإبداع ، وتضاف إلى السمتين اللتين دار حولها كلام الجاحظ ، وخاصة سمة التنزه عن الصنعة ، والتكلف في الوقت الذي تحدث فيه الرافعي في ختام الجزء الذي عقده للبلاغة النبوية عن الخلوص والقصد والاستيفاء وقال ، أن نسق البلاغة النبوية مبني على هذه الثلاث .

1- **فالخلوص** : يكون في اللغة والأسلوب ، وأن النبي منفرد فيها جميعاً لأن لم يكن في العرب ، ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر من ينفذ في اللغة وأسرارها وضعاً وتركيباً ، يستبعد اللفظ الحر ويحيط بالعتيق من الكلام ، ويبلغ في ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه ، ولا يتهيأ له الأسلوب العصبي الجامع المجتمع على توثيق السرد وكمال الملاءمة ، كما تراه في الكلام النبوي .

القصد والإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه ، ومن طبيعة الألفاظ ، ومعانيها ، وطبيعة النفس في حظها من الكلام جهتيه اللفظية ، والمعنوية فذلك بما امتازت به البلاغة النبوية.

الاستيفاء : وهو الذي يخرج به الكلام مبسوط المعنى ، ليس فيه إحالة أو إضراب

ويرى العقاد أن السمة الغالبة على أسلوب النبي هي سمة الإبلاغ فالسمة الأساسية للبلاغة النبوية هي سمة الإبلاغ حيث وقف العقاد على هذه السمة من خلال خطبة الوداع للنبي ، التي كانت أول إعلان عالمي لحقوق الإنسان في التاريخ ، وقوله : "ألا هل بلغت اللهم فاشهد والحق أن هذه [1] العبارة اللازمة لازمة بعيدة الدلالة ، لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات ولم تكن حياة النبي قولاً وعملاً إلا ترجمة صادقة لقوله تبارك وتعالى (وماعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) .[2]

ويقول العقاد : كلام النبي المحفوظ بين أيدينا إما معاهدات ورسائل كتبت في حينها ، وإما خطب ، وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها ، وقال العقاد معقباً على ما سبق ملخصاً بلاغة النبي متمثلة في :

- ❖ خلو الكلام من الكلفة والغموض والإغراب.
- ❖ خلو كلام النبي من الحشو والتكرار والزيادة .
- ❖ اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار في قوله أوتيت جوامع الكلم.
- ❖ ثلاثة كلمات عبرت عن علوم اللغة واشتملت عليه .

والرسول كان يكره الإطالة ، والاندفاع في الكلام ، وقد تكلم عنده رجل فأطال فقال له النبي كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال شفتاي ، وأسناني ، فقال إن الله يكره الانبعاق ... ، والانبعاق هو الاندفاع في الكلام. [3]

[1] _ مروة إبراهيم شعبان قوتة ؛ نعمان شعبان علوان الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية)، الجامعة الإسلامية _غزة _ عمادة الدراسات العليا ،كلية الآداب، قسم اللغة العربية. ص 9.

[2] _ نفس المرجع. ص 10.

[3] _ نفس المرجع. ص 11.

المطلب الثاني: سياق الخطاب النبوي وأثره في توجيه المعنى:

يُعدّ فهم سياق الخطاب النبوي من الأدوات المنهجية الأساسية في التعامل مع السنة النبوية، إذ إن كثيرًا من الإشكالات التي تطرأ في فهم النصوص ترجع إلى إغفال سياق الحديث، سواء كان ذلك السياق لفظيًا أو مقاميًا. ولذلك، فإن إدراك هذا السياق يُعدّ شرطًا أساسًا للفهم السليم، ويقي الباحث من الوقوع في الخطأ أو التعارض الظاهري أو سوء الاستدلال.

أولًا: مفهوم السياق

السياق في اللغة مأخوذ من "السوق"، وهو القيادة، ومنه سِياق الكلام: أي ما يُساق من ألفاظ لتوضيح المعنى.

أما في الاصطلاح، فهو: "القرائن المصاحبة للنص والتي تؤثر في توجيه دلالته، وتشمل السياق اللفظي وما يحيط بالنص من أحوال الزمان والمكان والحال والشخصيات"[1].

وقد أشار الإمام الشافعي رحمه الله إلى أهمية السياق حين قال: "لا يُفهم الحديث إلا بجمعه إلى ما يشبهه، والنظر في عامة معانيه"، مؤكدًا بذلك ضرورة النظر الشمولي للنص وعدم الاكتفاء بعزل الحديث عن سباقه ولحاقه[2].

ثانيًا: أنواع السياق في الخطاب النبوي

1. **السياق اللفظي**: وهو ما يتعلق بالنص ذاته من جُمل سابقة ولاحقة، أو ورود الحديث ضمن مجموعة أحاديث مترابطة.

2. السياق المقامي (الحالي): ويشمل:

سياق الزمان: مثل أن يكون الحديث في وقت الحرب أو السلم، في رمضان أو في غيره.

سياق المكان: كأن يُقال الحديث في المسجد أو في الطريق أو في السفر.

---

[1] _ محمد صبحي الصالح ؛ مباحث في علوم الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1973م، ص233.

[2] _ الشافعي، محمد بن إدريس ؛ الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط1، 1979م، ص480.

سياق الحال: ويتعلق بالحالة النفسية والاجتماعية للصحابة أو المخاطَبين بالحديث.

سياق السؤال والجواب: وهو من أهم الأنواع؛ لأن كثيرًا من الأحاديث جاءت جوابًا على سؤال يوجّه معناها، وهو ما يُعرف عند المحدّثين بـ"سبب ورود الحديث".

وقد أشار ابن القيم إلى أثر هذا السياق بقوله: "الكلمة الواحدة تُقال في موضع فتُفهم على وجه، وتُقال في غيره فتُفهم على وجه آخر، والسياق هو الفارق بينهما"[1].

ثالثًا: أثر السياق في توجيه المعنى

1. رفع التعارض الظاهري:

من أبرز وظائف السياق أنه يرفع ما قد يظهر من تعارض بين النصوص، فكثير من الأحاديث يُظن تعارضها لكن يُزال ذلك بفهم السياق.

مثال ذلك: حديث "من بدل دينه فاقتلوه"[2]، قد يُظن أنه حكم عام، لكن بسياقه يُفهم أنه في سياق الردة السياسية والخيانة زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وليس في من ترك الدين اختيارًا دون إضرار بالمجتمع.

2. تقييد المطلق وتخصيص العام:

حديث "في كل كبدٍ رطبة أجر"[3] يبدو عامًا، لكن معرفة سياقه في إطعام الكلب العطشان يفيد أن المقصود هو الرحمة بالمخلوق المحتاج، لا أن كل إطعام له أجر مطلقًا.

3. بيان المقصود الحقيقي من النص:

[1] ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر ؛ إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: بشير محمد عيون، دار ابن الجوزي، (الدمام)، ط1، 1423هـ، ج1، ص69.

[2] ـابن حجر العسقلاني ؛ أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، (بيروت)، ط3، 1379هـ، ج12، ص270.

[3] ـ النووي، يحي بن شرف ؛ شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي،(بيروت)، ط2، 1392هـ، ج7، ص120.

في حديث "اليد العليا خير من اليد السفلى"[1]، فإن السياق يُوضح أن المقصود ليس التمييز بين الغني والفقير، بل بيان فضل العطاء على الأخذ، بدليل السياق الذي يسبق ويلي الحديث، والذي فيه الحث على الإنفاق والصدقة.

4. منع التعميم في ما هو خاص:

كما في حديث معاذ بن جبل حين أجابه النبي عن سؤال حول حق الله على العباد، ثم قال له: "أفلا أبشّر الناس؟ قال: لا تُبشّرهم فيتّكلوا"، فالسياق هنا يمنع تعميم الحكم على جميع الناس في ذلك الوقت[2].

رابعًا: أهمية مراعاة السياق في دراسة السنة

- يُعين على الفهم المقاصدي للنصوص، وهو من غايات الشريعة.
- يمنع الاجتزاء والتوظيف الخاطئ للنصوص.
- يُساعد في الترجيح بين الروايات المختلفة.
- يُظهر التدرج في التشريع النبوي، كما في أحاديث الخمر مثلًا.
- يُبرز مرونة الخطاب النبوي في التعامل مع اختلاف الأحوال.

ولذلك، قال النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم: "ومعرفة سياق الحديث من أصول فهمه، وتركه مدعاة للزلل في الفهم والفتوى"[3].

المطلب الثالث: القصدية وأهداف الخطاب النبوي

أولًا: القصدية

أ- لغة:

[1] – النووي، يحيى بن شرف ؛ شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، ج7، ص123.

[2] – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، حديث رقم: 30.

[3] – النووي ؛ شرح صحيح مسلم، ج1، ص89.

القصدية في اللغة مأخوذة من الفعل "قصد"، ويُقال: قصد الشيءَ، قصداً، أي: توجه نحوه واعتمده وابتغاه عن إرادةٍ وعمدٍ، ومنه قوله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]، أي: عليه بيان الطريق المستقيم وسبل الهداية.

ويُقال: قصد فلانٌ فلاناً، أي توجه إليه، وقصد في الأمر أي توسط فيه ولم يفرط أو يفرّط.

وقد ورد في لسان العرب لابن منظور:

"القَصْدُ: نقيضُ الإفراطِ، تقولُ: كان سَيرُهم قَصْداً، وقَصَدَ فلانٌ قصْدَ فلانٍ أَي تَوَسَّطَ وسارَ سَيْراً مُعْتَدِلاً"[1].

ب- اصطلاحًا:

القصدية (Intentionality) هي مصطلح فلسفي دقيق يُشير إلى الخاصية التي تميز الأفعال العقلية أو الذهنية (مثل التفكير، الرغبة، الإيمان، التذكر...) بكونها دائمًا متعلقة بشيء ما، أي أنها "مُوَجَّهَة نحو موضوع".

وقد أعاد الفيلسوف فرانتس برنتانو (Franz Brentano) إحياء هذا المصطلح في الفكر الغربي الحديث، معتبرًا أن القصدية هي "سمة الوعي الأساسية"، وقال في كتابه علم النفس من وجهة نظر تجريبية إن:

"كل ظاهرة عقلية تتميز بخصيصة القصدية، أي أنها تحوي بداخلها شيئًا كموضوع"[2].

وبناءً على ذلك، تصبح القصدية معيارًا للفصل بين الظواهر النفسية (التي لها موضوعات متعقلة بها) والظواهر الفيزيائية (التي لا تتجه نحو موضوعات). فمثلًا:

الاعتقاد بأن "الطقس جميل" هو فعل ذهني مقصود (لأنه يتجه نحو فكرة معينة).

بينما الصوت الناتج عن المطر ليس له "قصدية" لأنه مجرد ظاهرة فيزيائية.

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مادة: "قصد"، دار صادر، بيروت، ج15، ص 71.وفي

[2] – برنتانو، فرانتس ؛ علم النفس من وجهة نظر تجريبية، ترجمة: كمال الحاج، دار الطليعة، بيروت، 1980، ص 98.

ثم جاء إدموند هوسرل (تلميذ برنتانو ومؤسس الظاهراتية) ليجعل من القصدية الأساس في تحليله للوعي، حيث يرى أن:

"الوعي دائمًا وعيٌ بشيء"[1].

وهذا جعله ينظر إلى كل تجربة عقلية باعتبارها مشروطة بتوجيهٍ نحو موضوع، سواء أكان هذا الموضوع شيئًا واقعيًا أو مجردًا أو حتى خياليًا.

ج- في اللسانيات والنقد الأدبي

دخل مفهوم القصدية أيضًا في مجالات مثل اللسانيات التداولية، حيث تُشير إلى نية المتكلم من وراء قوله. فالرسالة اللغوية ليست فقط بناءً شكليًا، بل تحوي قصدًا تواصليًا، مثل: الأمر، الطلب، التحذير، إلخ. وهو ما توسع فيه سيرل وأوستين في نظرية أفعال الكلام[2].

كما استخدم النقد الأدبي المعاصر هذا المفهوم لتحليل علاقة المؤلف بالنص، مثلما ناقشه أمبرتو إيكو، وميشيل فوكو، وغيرهم في إطار السؤال: "هل يُمكننا تفسير النص استنادًا إلى نية المؤلف؟"، وهي مسألة خلافية عُرفت بنقاش "موت المؤلف".

ثانيا أهداف الخطاب النبوي:

❖ الهداية والتبليغ:

الهدف الأساس من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو إيصال رسالة الإسلام إلى الناس وبيان مراد الله من خلقه[3].

❖ التربية والتزكية:

يسعى الخطاب النبوي إلى تزكية النفس البشرية وتهذيبها، وتعليمها مكارم الأخلاق، كما ورد في قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ..."[1]. سورة الجمعة الاية02.

[1] – هوسرل، إدموند ؛ أفكار ممهدة لظاهريات خالصة، ترجمة: زكريا إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، 1993، ص 45.

[2] – سيرل، جون ؛ أفعال الكلام: مقالة في فلسفة اللغة، ترجمة: فتحي المسكيني، دار توبقال، (الدار البيضاء)، 2006، ص 17.

[3] – انظر: ابن تيمية ؛ النبوات، ص: 20.

❖ التوجيه والإرشاد العملي:

من خلال أحاديثه وسيرته، وجه النبي المسلمين في حياتهم اليومية، وربطهم بالدين في كل شؤونهم[2].

❖ بناء العقيدة السليمة:

كان من أعظم مهام الخطاب النبوي ترسيخ الإيمان بالله والتوحيد، ومحاربة الشرك والانحرافات العقائدية.[3]

❖ تعزيز الأخلاق والقيم:

النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ما يوضح أن الأخلاق ركيزة أساسية في الخطاب النبوي [4].

❖ تقوية الروابط الاجتماعية وبناء الأمة:

الخطاب النبوي عمل على إرساء العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي[5].

❖ التحفيز والتثبيت النفسي:

في مواقف الابتلاء والخوف، كان النبي يخاطب أصحابه ليغرس فيهم الثبات والصبر والتفاؤل، كما في حديث "أنا عند ظن عبدي بي"[6].

---

[1] – سورة الجمعة، الآية 2.

[2] – النووي ؛ شرح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام.

[3] – البخاري ؛ كتاب بدء الوحي.

[4] – رواه البيهقي ؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

[5] – ابن هشام ؛ السيرة النبوية، باب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

[6] – رواه البخاري ومسلم.

ملخص الفصل الأول:

الخطاب النبوي والحديث القدسي يرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالتداولية، لأن فهمهما لا يعتمد فقط على الكلمات نفسها، بل على السياق الذي يُقال فيه الكلام، والنية التي يقصدها المتحدث. أفعال الكلام التي تبرز في الخطاب النبوي تعكس نوايا النبي في توجيه الناس وتعليمهم، بينما التداولية تساعد في تفسير هذه الأفعال حسب الظروف المختلفة. بهذا الشكل، التداولية تُمكّننا من فهم أعمق للخطاب النبوي والحديث القدسي، وتوضح كيف تتحقق أهدافهما في إصلاح الأخلاق وتعزيز القيم داخل المجتمع.

الفصل الثاني:

الدراسة التطبيقية للأحاديث القدسية من منظور تداولي

تمهيد:

تضم الأربعون النووية للإمام النووي مجموعة من الأحاديث النبوية التي تُعد من جوامع الكلم، وقد تناولت موضوعات مختلفة تمسّ العقيدة والعبادة والسلوك، ومن بينها أحاديث قدسية تكتسي طابعًا خاصًا، لأنها من كلام الله تعالى رواها النبي ﷺ عن ربّه، فتجمع بين قدسية المصدر وبلاغة التبليغ.

وقد وردت في هذه المجموعة بعض الأحاديث القدسية، واخترنا من بينها حديث **تحريم الظلم وحديث الظن بالله ليكونا مادة للدراسة والتحليل**، نظرًا لما يحمله كل واحد منهما من معانٍ عميقة، وأبعاد دلالية وتداولية تستحق الوقوف عندها.

ورغم وجود أحاديث قدسية أخرى ضمن الأربعين، فإن اقتصارنا على هذين الحديثين جاء رغبةً في التعمق في التحليل، ومراعاة لحجم الدراسة، دون الإخلال بجوهر الموضوع.

المبحث الأول : "قراءة تداولية في حديث " تحريم الظلم ":

نص الحديث:

الحديث الرابع والعِشْرُونَ: "تَحْرِيمُ الظُّلْمِ "

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا * يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ

الْمِحْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.[1]

شرح الحديث:

هذا الحديث حديث عظيم لأنه يتكلم عن عظيم وهو الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ أعظم العلم العلم بأفعاله سبحانه وتعالى وبنعوت كماله، والله عزوجل له صفات ذاته وله أفعال نعتهالنا وهي الصفات الفعلية، وهذا الحديث يتعلق بعدد من الأمور:

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّجَلٌ قَالَ : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي .

الأمر الأول قوله: فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى أقف مع مسألة فيها فقط من باب الاستطراد، الذي قرره المحققون من أهل العلم ومنهم الشيخ تقي الدين وغيره أن الأحاديث القدسية لفظها ومعناها من الله عزوجل ولكنها تفترق عن القرآن أنها ليست معجزة اللفظ وأنه يجوز منها لغير المتطهر وهو المحدث ولا تصح الصلاة بها ويجوز روايتها بالمعنى، ولكنها كلام الله عروجاً لفظا ومعنى، وأما ما يتكلم به الله ما الله علية وخاصة جوامع الكلم فانها منالكلم فإنها من الله عزوجل معنى ومن النبي صلى الله عليه وسلم لفظا فيجب الانتباه لهذه المسألة والذين يقولون إنها – أي: الأحاديث القدسية لفظها – من النبي صلى الله عليه وسلم قد يكون قولهم ذلك ذريعة للقول بالعبارة الذي يفوه به بعض من خالف طريقة السلف رحمهم الله تعالى في إثبات صفة الكلام للجبار جل وعلا إذ الأصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يروي عن ربه إلا كما قاله ربه جل وعلا لكن يجوز روايته بالمعنى فقد يختلف الرواة فيه زيادة ونقصا وتغييرا لبعض الألفاظ.

أول صفات الجبار جل وعلا التي حكاها عن نفسه في قوله: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى ت و فوالله لا يظلم با هم عدا سبحانه وتعالى و هذه الحملة تدل على أم يتعلق بالعبادة هم :

[1] - الإمام الحافظ أبو زكرياء يحيا بن شرف النووي، الأربعون النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ومعها تتمة الحافظ بن راجب، دار الإمام مالك للكتاب، ص30 – 31.

حرمة الظلم فيما بينهم وقد ذكر أهل العلم رحمهم اللهُ تَعَالَى أن أفضل صفات العبد التي يتصف بها ما وصف الله عزوجل بها نفسه، فإن الله وصف نفسه بالكرم فأفضل الصفات في العباد أن يكونوا كرماء، ووصف الله عزوجل نفسه بالحلم فأفضل الصفات في العباد الحلم.

والمقصود من هذه الصفات أي: الصفات التي توجد في العباد وإلا فإن الله عزوجل صفات وأسماء لا يجوز للعباد أن يتسموا بها أو أن تكون لهم من باب النعوت والصفات.

فالمقصود الصفات التي قد يوجد من الآدميين من باب المواطنة لا من باب المثلية.

الأمر الثاني: أن هذا الحديث دل على ما يتعلق بالسؤال، حينما قال: كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي»، ثم قال: «فَاسْتَطْعِمُونِي، ثم قال: «فَاسْتَكْسُونِي»، ثم قال: فَاسْتَغْفِرُون ، وهكذا، وهذا يدلنا على أن المرء يتنوع في دعائه.

«إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي»، ثم قال: «فَاسْتَطْعِمُونِي»، ثم قال: «فَاسْتَكْسُونِي»، ثم قال: فَاسْتَغْفِرُونِي، وهكذا، وهذا يدلنا على أن المرء يتنوع في دعائه لله عزوجل إذ من أفضل العبادات دعاء الطلب لأن الدعاء نوعان: دعاء طلب ودعاء حنان، ودعاء الطلب الله يحبه، الله يحب دعاء الطلب وهو من أفضل القربيات الله عزوجل لذا جاء عند الترمذي الدُّعَاءُ هُوَ العبادة والفصل بين العامل والمعمول بضمير الشأن يدل على الحصر والاختصاص فدل على أن الدعاء من أفضل العبادات، الدعاء هو العبادة، فالعبد يحرص على دعاء الله عزوجل وليعلم أن مجرد الدعاء تؤجر عليه، ولذلك ما من عبادة إلا وفيها دعاء الصلاة لا تصح إلا بدعاء، الصوم يستحب فيه الدعاء، الزكاة يستحب وقبل بالوجوب في الدعاء عند البدر ولذلك لما قال صاحب المحرر المجد أبو البركات وعليه أن يدعو عند بذلها، قال ابن مفلح وقوله: (وعليه) وعلى الوجوب عند قول القاضي وأبي الخطاب، أنا قصدي من هذا أن الدعاء مستحب حتى في الزكاة وفي الحج وفي البيع وفي الشراء وفي الأكل وفي غيرة فالإنسان يدعو الله عامل أفضل عبادة في الدعاء، لا تظن أن الدعاء مجرد طلب المصلحتك، نعم هي المصلحتك و الرزق هي المصلحتك و الهداية هي مصلحتك للخير وهي لمصلحتك في الجنة ولكن فيها أجر عند الله عزوجل إذ هي عبادة في نفسها .

الأمر الثالث: مما يدل عليه هذا الحديث ونقف عنده وهو صفة الله عزوجل العظيمة وهي: (الغنى) فإن الله غني عن خلقه ليس في حاجة لهم لا في عبادة، ولا في دعاء، ولا في طلب وهو مستغن عن أمورهم كلها: «إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، الله عني سُبحانه وتعالى ولذلك هذا الاسم من أسماء الجبار جل وعلا الغني الحميد من أسمائه وصفاته العظيمة التي تستحق التفكر وعندما أشير إلى بعض أسماء الله عزوجل صفاته نستذكر حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ لِلَّهِ يَسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ من أحصاها أي:

- عرفها.
- وحفظها.
- وتفكر في معانيها.
- ودعا الله عزوجل بها.

فيجب على المسلم أن يُعنى دائماً بالتفكر في أسماء الله عزوجل وفي أفعاله وفي صفاته جَل وَعَلا فَإِنَّ هذا من أعظم ما يزيد في الإيمان، ولذلك نحن نتفكر في أفعاله ولا نتفكر في ذاته ومر معنا أن من الإيمان به الجهل بما لم يخبرنا به عن نفسه لكن أفعاله نراها فما الرزق والصحة والعافية والحياة إلا منه سبحانه وتعالى.[1]

عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه عن النبي فيما يرويه عن الله):

هذا حديث قدسي. والفرق بينه وبين القرآن: أنه اللفظ المنزل للإعجاز. والقدسي : أخبرالله نبيه معناه بالإلهام، أو المنام، فأخبر التي القيم أمته بعبارته عن ذلك المعنى، فلا يكون معجزا ولا متواتراً كالقرآن.

المطلب الأول : دراسة السياق:

أولاً: السياق التاريخي:

1. زمن ورود الحديث:

[1] – عَبْدِ السَّلَامِ بن محمد الشويعر ،شرح الأربعين النووية ، تصنيف الإمام يَحْيَى بْنِ شَرَفَ بْنِ مُرِّيٍّ النَّوَوِي ص 71-74.

ورد هذا الحديث في زمن النبوة، أي في القرن الأول الهجري، تحديدًا في المدينة المنورة، حيث انتشرت تعاليم الإسلام وأسس النبي ﷺ قواعد العدل والتوحيد بين الناس.

2. البيئة الدينية السابقة:

الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية مليئة:

- بالظلم الاجتماعي (عبودية، قتال قبلي، أكل حقوق الضعفاء).
- بالشرك العقائدي (ظنوا أن الله يظلم أو يتأثر بأعمال البشر).

فجاء الحديث ليصحح هذه المفاهيم الخاطئة، ويؤكد أن:

- الله غني وعادل لا يظلم أحدًا.
- العبد مسؤول عن عمله فقط.

ثانيًا: السياق الاجتماعي:

1- وضع المجتمع حينها:

المجتمع كان يضم فقراء وضعفاء (مثل أبي ذر الغفاري راوي الحديث).

تفشّى في الجاهلية التمييز الطبقي والقبلي.

الإسلام جاء يقرر:

- أن كل الناس عبيد لله.
- أن الظلم محرَّم بين الناس كتحريمه على نفسه سبحانه.
- أن الفقر، الجوع، والجهل لا يُعالج إلا بالرجوع إلى الله.

2- إرساء مبادئ العدالة الاجتماعية:

مثل قول النبي ﷺ في الحديث:

"كلكم جائع إلا من أطعمته... كلكم عارٍ إلا من كسوته"

فيه تذكير بعدالة الرزق وأن الناس متساوون في افتقارهم إلى الله.

ثالثًا: المخاطَب في الحديث

1- الخطاب موجه إلى:

✓ جميع الناس، وليس فقط المسلمين أو الصحابة.

يتضح ذلك من قوله المتكرر: "يا عبادي"

- أي: يا عبادي الذين خلقتهم جميعًا من الإنس والجن.

2- الدليل على شمول الخطاب:

قوله:

"يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم..."

يدل على أن الحديث يشمل كل الخلق، في كل زمان ومكان.

رابعًا: مناسبة ورود الحديث:

لا يوجد حادثة محددة ورد فيها هذا الحديث، لكنه جاء في سياق:

- تعليم الصحابة عقيدة التوحيد الخالص.
- توضيح أن الله لا يظلم أحدًا.
- تحفيز الناس على طلب الخير من الله.
- تأكيد أن كل خير وشر هو من كسب العبد.

والراوي هو:

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

المعروف بزهده وحدّة موقفه من الظلم والمال، فناسب أن ينقل هذا الحديث العظيم.

خامسًا: الاستدلال بالقرآن الكريم:

الحديث مستند إلى معانٍ قرآنية عديدة، منها:

1- تحريم الظلم:

- ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: 46]
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾[يونس: 44]

2- افتقار العبد إلى الله في الهداية والرزق:

- ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: 257]
- ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: 212]

3- غنى الله عن العباد:

- ﴿ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 8]
- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ [الذاريات: 56–57]

المطلب الثاني : تحليل مكونات الخطاب التداولي :

1- المرسِل (الذي يصدر الخطاب)

✓ الله عز وجل:

الحديث من الأحاديث القدسية، أي أن المعنى من الله، واللفظ من النبي محمد ﷺ.

الله هو المتكلم الحقيقي في الحديث، والنبي ﷺ ناقل للخطاب عن ربه، كما قال:

"عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل..."

2- المرسَل إليه (المخاطب)

✓ العباد جميعًا:

"يا عبادي" تكررت 9 مرات، خطاب موجه إلى جميع الخلق: إنسًا وجنًا، مؤمنين وغير مؤمنين.

✓ يشمل كل الفئات: الجائعين، الضالين، المذنبين، المحتاجين.

3- الرسالة (مضمون الخطاب)

هي مجموعة توجيهات ومضامين عقدية وسلوكية:

- تحريم الظلم: "إني حرمت الظلم على نفسي"
- افتقار العباد إلى الله: "كلكم ضال... كلكم جائع... كلكم عار"
- سعة مغفرة الله: "وأنا أغفر الذنوب جميعًا"
- استقلال الله عن نفع العباد أو ضررهم: "لن تبلغوا ضري... لن تبلغوا نفعي"
- عدل الله المطلق: "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم..."

الرسالة في جوهرها:

- بيان لعظمة الله، وعدله، وغناه، وافتقار العبد الكامل له، وتحفيز للرجوع إليه.

4- **القصدية (Intention)**: أي ما يقصده المرسل من خطابه.

- **القصد العقدي**: تصحيح العقيدة في باب التوحيد والعدل والافتقار إلى الله.
- **القصد التربوي**: دعوة العبد للتوبة، والرجوع إلى الله في كل شؤونه.
- **القصد الإرشادي**: تحفيز العباد على الاستغفار، والسعي في الخير.
- **القصد التحذيري**: النهي عن الظلم، واللوم على النفس لا على القدر.

5- أفعال الكلام (Speech Acts):

الحديث مليء بأنواع أفعال الكلام كما صنّفها "سيرل" و"أوستن":

نوع الفعل	المثال	النوع التداولي
إنشائي طلبي (أمر)	"فاسْتَهْدُوني"، فَاسْتَغْفِرُوني،"فلا تظالموا"	طلب وإرشاد
إخباري خبري	كلكم ضال إلا من هديته"، "إني حرمت الظلم"	بيان حقائق وشرح للعقيدة

إنشائي تحذيري	"فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"	توجيه وتحذير
إنشائي تقريري	"إنما هي أعمالكم أحصيها لكم"	بيان المسؤولية الفردية

6- السياق اللغوي:

- لغة فصيحة مباشرة، بأسلوب عربي أصيل.

استخدام أساليب بلاغية متنوعة:

- النداء المتكرر: "يا عبادي" (للرحمة والحنان والتنبيه).
- الجمل الشرطية: "لو أن أولكم وآخركم...".
- التشبيه: "ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر".

7- السياق غير اللغوي (السياق الاجتماعي والثقافي والديني)

الخطاب جاء في سياق إصلاح العقيدة في بيئة كانت تعاني:

- من الظلم الاجتماعي.
- من مفاهيم خاطئة عن الله (الظن بأنه يظلم أو يحتاج).
- الخطاب جاء ليؤسس مفهوم العدل الإلهي والافتقار الكامل لله، دون مساومة أو تبادل.

8- سياق الحال (Context of Situation):

أي: الظروف التي أُنتج فيها الخطاب.

- **المخاطبون:** بشر في حاجة لله، يعانون من فقر، جوع، ذنوب، وظلم.
- **الحالة النفسية للعبد:** قد يشعر بالعجز أو بالذنب أو بالحرمان، فجاء الخطاب يُطمئن ويُوجّه.

- **السياق الزماني:** جاء في عصر النبوة حيث تُبنى أصول العقيدة والعدل في النفوس.

مكونات الخطاب التداولي مع الاستدلال:

- النهي عن الظلم
- طمأنة العبد أن الله لا يظلم ولا يحتاج
- حث العبد على اللجوء إلى الله وحده

❖ **من القرآن:**

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾ [يونس:44]

❖ **ومن السنة:**

"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" (رواه مسلم) |

أفعال الكلام :

- **إخباري:** بيان حقائق ("كلكم ضالّ إلا من هديته")
- **طلبي/أمري:** ("فاستهدوني"، "فاستكْسوني"، "فاستغفروني")
- **تحذيري:** ("فلا تظالموا")
- **تقريري:** ("إنما هي أعمالكم...")

الأساليب كلها تداولية: تدل على الأمر، والنهي والتحفيز، والتقرير. وهي مقاصد مباشرة للسامع للتأثير والتغيير.

السياق اللغوي : اللغة فصيحة، قوية

أساليب: نداء، شرط، تشبيه، توكيد

تكرار "يا عبادي" فيه رحمة وتنبيه

تشبيه دقيق: "ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط..."

من بلاغة القرآن:

❖ ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [فصلت:46]

ومنه أساليب مشابِهة:

❖ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ [الزلزلة:7] |

السياق غير اللغوي : الخطاب جاء في زمن كانت تنتشر فيه مظاهر الظلم، الجهل، الفقر، والاعتقاد الفاسد.

يهدف الخطاب إلى تصحيح مفاهيم ومعتقدات خاطئة عن الله والقدر والعدل

البيئة الجاهلية كانت قائمة على الظلم والاستعلاء الطبقي، فجاء الإسلام بهذا الخطاب لإقرار العدل الإلهي والمساواة:

❖ ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات:13] |

سياق الحال : الخطاب موجه للعبد وهو في حالة ضعف: جوع، ذنب، عُري، فقر، حيرة

يُشعره بأن الله أقرب إليه من نفسه

يفتح له باب الأمل والمغفرة والعمل | "وأنا أغفر الذنوب جميعًا... فاستغفروني أغفر لكم"

يدل على أن السياق هو الرجاء في أوقات الحاجة والتقصير، وليس التأنيب أو اليأس |

استدلال إضافي مهم من القرآن:

تحريم الظلم:

❖ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: 40]

افتقار الإنسان لله في كل شيء:

❖ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96]

❖ ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: 2] (أي الذي يُقصَد في كل الحوائج)

العدل والمساءلة:

❖ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: 7]

الرجاء والاستغفار:

❖ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: 53]

خلاصة مركّزة : الحديث يقدم خطابًا تداوليًا متكاملًا في عناصره:

- **المرسِل:** الله.
- **المرسل إليه:** جميع العباد.
- **الرسالة:** نداء توحيد، عدل، رجاء.
- **القصد:** هداية العبد وتصحيح العقيدة.
- **أفعال الكلام:** أمر، نهي، توجيه، إخبار.
- **السياق اللغوي:** أساليب بلاغية عالية التأثير.
- **السياق غير اللغوي:** مجتمع جاهلي، بحاجة لتصحيح مفاهيمه.
- **سياق الحال:** عبدٌ ضعيف محتاج، يفتح الله له باب العودة.

المطلب الثالث : تحليل الظواهر التداولية (Pragmatic phenomena):

في الحديث الشريف "تحريم الظلم" يكشف عن ثراء لغوي وتواصلي بليغ، يعكس عمق المقاصد الإلهية في التواصل مع البشر، ويتضمن استخدام أدوات خطابية وتداولية قوية تؤثر في المتلقي من حيث الوظيفة الإقناعية، والتأثيرية، والتعليمية، والتنبيهية.

فيما يلي تحليل لأبرز الظواهر التداولية في الحديث:

أولًا: الظواهر التداولية الأساسية في الحديث

1- النداء التداولي:

(النداءات المتكررة: "يا عبادي")

وظيفته: استدعاء انتباه السامع وتهيئته نفسيًا وعاطفيًا لتلقّي الرسالة.

أثره التداولي: يُبرز العلاقة الخاصة بين الله وعباده، المبنية على الرحمة والعناية لا القهر والتسلط.

تكراره: ورد النداء 9 مرات، وهذا التكرار يعمّق التأثير العاطفي والتربوي.

2- الخطاب المباشر (Direct address)

استخدام ضمير المخاطب (كلكم، فاستهدوني، فاستغفروني، فليحمد الله، فلا يلومن إلا نفسه) يُضفي:

- قوة تأثيرية مباشرة.
- تحميل المسؤولية الشخصية لكل مخاطب.
- إشعار بالتكريم بأن الخطاب صادر من الله مباشرة لعباده.

3- الفعل الإنجازي (Speech Acts)

الحديث مليء بأفعال إنجازية – أي أن القول فيه يفعل شيئًا لا مجرد وصفه:

نوع الفعل الانجازي	أمثلة من الحديث	الأثر التداولي
الأمر	"فَلَا تَظَالَمُوا"، "فَاسْتَهْدُونِي"، "فَاسْتَغْفِرُونِي"	توجيه مباشر وسلوك إرشادي
التحذير	"فلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"	تنبيه وتحمل للمسؤولية
الإخبار	"إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي"، " مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي"	بناء معرفة ويقين عند المخاطب
التذكير	"إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"	إشعار بالضعف البشري وضرورة اللجوء إلى الله.

4- المقارنة والتقابل (Contrast)

استخدام التقابل يُبرز المعنى بقوة ويشد الانتباه.

- ❖ أتقى قلب . أفجر قلب
- ❖ ضال . مهتد
- ❖ جائع . مشبع
- ❖ عارٍ . مكسو
- ❖ خير . غير ذلك

هذا التقابل يُعمّق الإدراك الذهني والمعنوي لدى السامع.

5- التكرار التداولي (Repetition for emphasis):

التكرار في بنية "يا عبادي" + "كلكم..." يُرسّخ المعاني ويؤكّدها نفسيًا.

تكرار صيغ مثل:

- ❖ "كلكم..."، "فاستـ..."، "ما زاد/نقص..." يوصل الرسالة بأثر تراكمي.

6- الإحالة المرجعية (Deixis):

الحديث يستخدم إحالات لغوية تشير إلى المتكلم (الله)، والمخاطب (العبد):

- ❖ "إني"، "نفسي"، "ما عندي" ⟵ إحالات إلى المتكلم (الله) تدل على التعظيم.
- ❖ "أنتم"، "كلكم"، "من وجد" ⟵ إحالات إلى المخاطب (العبد) توصل الشعور بالمسؤولية والتأثر.

7- الافتراض الضمني (Presupposition):

يُفترض ضمنيًا في الحديث أشياء دون أن يُصرّح بها، مثل:

- أن الإنسان فقير عاجز في أصله.
- أن الله غني وكريم لا ينقص ملكه شيء.

- أن الإنسان مسؤول عن أفعاله ومصيره.

المطلب الرابع: نتائج واستنتاجات

تحليل كيف يسهم الحديث تنظيم العلاقات الاجتماعية و السلوكية ، وأثره في بناء الوعي الديني والأخلاقي لدى المتلقى .

أولاً: الإسهام في تنظيم العلاقات الاجتماعية والسلوكية:

1- تحريم الظلم قاعدة عليا في التعامل بين الناس:

"فجعلته بينكم محرّما، فلا تظالموا"

- يشكّل هذا توجيهًا صريحًا ومباشرًا بتحريم جميع أشكال الظلم (المادي، المعنوي، الاجتماعي...).
- يمنع التعدي على حقوق الآخرين ويضمن عدالة التعاملات الاجتماعية.
- يؤسس لمجتمع يقوم على الإنصاف والاحترام المتبادل.

2- ترسيخ قيم التكافل والتعاون:

"كلكم جائع إلا من أطعمته... فاستطعموني"، "كلكم عارٍ إلا من كسوته"

- يعلّم الناس أن الأصل فيهم الفقر والاحتياج، وأن الله هو المعطي، ما يجعلهم أكثر تواضعًا ورحمة ببعضهم.
- يدعو إلى تقديم العون ومساعدة المحتاج كجزء من السلوك الاجتماعي المطلوب.

3- تحميل الفرد مسؤولية أفعاله:

"فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"

- ❖ يؤسس لمجتمع واعٍ وراشد لا يتهرّب أفراده من المسؤولية.
- ❖ يُقلّل من لوم الآخرين، ويشجع على محاسبة الذات وإصلاح النفس.

4- منع التفاخر والتكابر

"لو أن أولكم وآخركم... كانوا على أتقى قلب... ما زاد في ملكي شيئًا"

- يُذَكّر الإنسان أن تقواه أو فجوره لا تؤثر في الله، وأن التفاضل الحقيقي في العمل الصالح، لا في المال أو النسب.
- يقضي على التكبر، ويعزز قيم المساواة والتواضع.

ثانيًا: أثر الحديث في بناء الوعي الديني والأخلاقي لدى المتلقي:

1- تشكيل تصور شامل عن العلاقة بالله

يوضح الحديث أن الله:

❖ رحيم، عادل، غني، قريب، سامع، مجيب، غفور.

هذا يعمّق الوعي العقدي ويُربّي المؤمن على عبادة الله عن محبة وتعظيم لا خوف فقط.

2- بناء وعي أخلاقي رفيع:

يُعلِّم الحديث المؤمن أن:

- كل خير في يده من الله، وعليه أن يشكر.
- كل شر بسببه، وعليه أن يتوب.

هذا يولّد أخلاقًا راقية تقوم على:

- الامتنان، التوبة، الاستغفار، والتواضع.

3- غرس الثقة بالله والانفكاك عن التعلق بالمخلوق:

"لن تبلغوا ضري... ولن تبلغوا نفعي"

- يعلّم المسلم أن كل ما عند الناس لا يغني شيئًا إن لم يُرد الله به الخير.
- فينشأ عنده وعي إيماني بأن التوكل يجب أن يكون على الله وحده.

4- تعزيز مفهوم العمل والمسؤولية:

"إنما هي أعمالكم... ثم أوفيكم إياها"

- يُربي على قيمة العمل الفردي، وأن لكل إنسان جزاء ما قدم.
- يخلق في المتلقي حسًّا بالعدل والمحاسبة، مما يضبط السلوك.

خلاصة:

يُعدّ حديث "تحريم الظلم" من الأحاديث القدسية الجامعة التي تحمل رسالة تداولية بالغة الأثر في بناء وعي الإنسان الديني والأخلاقي والاجتماعي. فالحديث يُنبه العبد إلى فقره المطلق إلى الله في كل شأن من شؤون حياته، ويُقرّر أن الهداية، والرزق، والستر، والمغفرة لا تنال إلا بطلبها من الله، القائل في كتابه:

- ❖ {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: 53]،
- ❖ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6].

كما يرسّخ الحديث في وجدان المتلقي أن الظلم محرّمٌ شرعًا مطلقًا، وأن الله تعالى – مع غناه المطلق – حرّمه على نفسه، وهو سبحانه القائل:

- ❖ {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ} [آل عمران: 108]،
- ❖ وقال ﷺ: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" [رواه مسلم].

يتوجه الحديث إلى المخاطَب بصيغة مباشرة مكررة "يا عبادي"، مما يخلق صلة وجدانية قوية بين العبد وربه، ويشعره بالقرب والاهتمام، ويُحمّله في الوقت نفسه مسؤولية اختياره وأفعاله:

- ❖ {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: 7–8].

ويوضّح الحديث أن طاعات الخلق لا تزيد في ملك الله شيئًا، ومعاصيهم لا تنقص منه، بل هو الغني عنهم، وهم الفقراء إليه، كما قال سبحانه:

- ❖ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15].

إن الرسالة التداولية التي يبثها هذا الحديث هي دعوة شاملة إلى التحرر من الكِبر، الظلم، والغفلة عن الله، مع التأكيد على أن صلاح الفرد والمجتمع يبدأ من وعي الإنسان بحقيقة نفسه وبعلاقته مع ربه، وأن الخير والشر من نتائج أفعاله، فهو من يصنع مصيره. وفي ذلك تربية على التقوى، التوبة، الشكر، ومحاسبة النفس، وهي القيم التي تضمن للفرد والمجتمع حياة مستقرة يسودها العدل والرحمة.

المبحث الثاني: قراءة تداولية لحديث "حسن الظن بالله"

نص الحديث الخامس والعشرين :

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم:

«إِنَّ اللهَ تَعَالَى قالَ: أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وإِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.» (رواه البخاري ومسلم).[1]

شرح الحديث:

1- "أنا عند ظن عبدي بي"

المعنى:

- الله تعالى يخبر أنه يعامل عبده بحسب ظنه به.
- إذا ظنّ العبد أن الله سيغفر له، يرحمه، يقبله، يوفقه... فإن الله يكون له عند ظنه.
- وإذا ظن العبد بربه ظنّ السوء —— كالشك في رحمته أو قدرته أو عدله —— فقد يقع عليه أثر ظنه.

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه}، حديث رقم (7405)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم (2675).
وانظر: الترمذي، السنن، حديث رقم (3603)، وقال: حديث حسن صحيح.
انظر أيضاً: أحمد بن حنبل، المسند، رقم (9148).

الفوائد:

- يحثّ هذا الجزء على حسن الظن بالله في كل حال.
- من أعظم العبادات القلبية: أن تتيقن أن الله لن يخذلك، ولن يردك صفر اليدين إذا دعوته وتبت إليه.

2- "وأنا معه إذا ذكرني"

المعنى:

"معه" أي بمعية خاصة: معية الرحمة والنصرة والتوفيق.

من يذكر الله، يشعر بقرب الله منه، ويجد أثر ذلك في سكينته وقلبه وأحواله.

أنواع الذكر:

- ذكر بالقلب: التفكر، والتأمل في نعم الله.
- ذكر باللسان: مثل التسبيح، التهليل، الدعاء، التلاوة.
- ذكر بالعمل: أن تجعل أفعالك تذكّر بالله (الصدق، البر، العبادة...).

3- "فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي"

المعنى:

من يذكر الله سرًا، فإن الله يذكره في الملأ الأعلى من الملائكة، في سرّ من عنده.

وهذا شرف عظيم للمؤمن.

4-"وإن ذكرني في ملإٍ، ذكرته في ملإٍ خير منهم"

المعنى:

إذا ذكرت الله أمام الناس، أثنى الله عليك في جمع من الملائكة المقربين.

وهذا فيه ترغيب في المجاهرة بالذكر إذا خلَت من الرياء (كالتسبيح الجماعي، تعليم الناس، الخطبة...).

5- "وإن تقرب إليّ شبراً، تقربت إليه ذراعاً..."

المعنى:

- الله تعالى يُقابل تقرب العبد إليه بأضعاف.
- التقرب إلى الله يشمل: الصلاة، الدعاء، الذكر، قراءة القرآن، حسن الخلق.
- "أتاني يمشي أتيته هرولة": استعارة تدل على سرعة استجابة الله لعبده، فوق ما يتوقع.

الفائدة:

- الله سبحانه يفرح بتوبة عبده، ويشجّعه على الاقتراب منه.
- لا يردّ من يقصده، بل يُكرمه أضعافًا.

المطلب الاول : دراسة السياق

أولًا: السياق التاريخي للحديث

1. زمن وروده:

يرجّح أن الحديث ورد في المدينة المنورة في الفترة المدنية من حياة النبي ﷺ، حيث نضجت الدعوة، وبدأ التشريع يأخذ شكله النهائي، وازداد تفاعل الصحابة مع تعاليم الإيمان.

2. الوضع السياسي والاجتماعي والديني:

كانت المدينة في مرحلة بناء المجتمع الإسلامي، وظهور فئة المنافقين جعل من المهم ترسيخ العقيدة في قلوب المسلمين.

ظهر نوع من التفاوت في الإيمان بين الصحابة الجدد والقدماء، مما استدعى تأكيد المفاهيم العقائدية الأساسية مثل: التوحيد، الثقة بالله، حسن الظن به، الإخلاص، والذكر.

المرحلة شهدت حروبًا وغزوات، فكان الصحابة بحاجة إلى التثبيت وتعزيز الصلة بالله والثقة بنصره.

ثانيًا: السياق الاجتماعي والديني

1. البيئة الاجتماعية:

كانت بيئة العرب قبل الإسلام مليئة باليأس من رحمة الله، حيث انتشرت عقائد الجاهلية التي تصور الله على أنه منتقم لا يغفر.

الإسلام جاء ليغرس في النفوس الرجاء وحسن الظن بالله، ويعدل صورة الخالق جل جلاله.

2. الاحتياج الاجتماعي والنفسي:

المجتمع الإسلامي كان في مرحلة بناء هوية روحية وأخلاقية، تحتاج إلى تربية عميقة في الإيمان.

كان المسلمون في أمسّ الحاجة إلى تعزيز علاقتهم بالله، والشعور بقربه ومحبته، لا الخوف المطلق منه فقط.

فجاء هذا الحديث ليبني ذلك الرباط القوي بين العبد وربه، وليوجه النفس المؤمنة نحو الله بثقة ومحبة.

ثالثًا: من هو المخاطب في الحديث؟

الحديث موجه إلى عموم المسلمين، وخاصة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين كانوا في طور بناء الإيمان والتوكل على الله.

كما يشمل كل من آمن وصدق، لأن الحديث يصف حال العبد مع ربه، وليس حال جماعة معينة أو في موقف معين.

رابعًا: الظروف التي ورد فيها الحديث

ليس هناك حادثة محددة ورد فيها هذا الحديث، لكن نستطيع استنتاج الظرف من مضامينه:

نفسية الصحابة واحتياجهم للتثبيت:

كان بعضهم يخاف من تقصير في العبادة أو من عدم قبول العمل.

الحديث جاء ليدعمهم نفسيًا ويعزز الثقة بالله.

تعزيز الذكر والتقرب لله:

ربما جاء في مجلس من مجالس النبي ﷺ التي كان يعلّم فيها أصحابه كيف يعبدون الله بإخلاص، وكيف يبنون علاقة شخصية مع الله تعالى.

في سياق تعليم العقيدة والسلوك:

هذا الحديث أحد دعائم التربية الإيمانية، التي كان يركز عليها النبي ﷺ، خاصة في بناء جيل الصحابة.

المطلب الثاني : تحليل مكونات الخطاب التداولي

1. المرسل (الناطق بالكلام)

في هذا الحديث القدسي، نجد طبقتين من الإرسال:

النبي محمد ﷺ: هو الناقل الظاهري للكلام، يرويه عن الله تعالى.

الله عز وجل: هو المتكلم الأصلي في الحديث؛ لأن الحديث قدسي، قاله الله تعالى، والنبي بلّغه.

إذًا: لدينا خطاب على لسان المرسِل الأعلى (الله) عبر المرسِل المبلّغ (النبي ﷺ).

2. المرسل إليه (المخاطب)

هو الصحابة رضوان الله عليهم أولاً، ثم جميع المؤمنين بعدهم.

الخطاب موجه للعبد المؤمن ليعرّفه بسُنن العلاقة بينه وبين ربه، وبأثر الظن، الذكر، والقرب في هذه العلاقة.

3. السياق (المقام)

سياق ديني تعليمي، جاء الحديث في مقام التربية الروحية والنفسية.

الغرض من السياق: بناء ثقة العبد بربه، وتعزيز الرجاء، وترسيخ فضل الذكر والتقرب.

يُمكن اعتباره خطابًا نفسيًا وتربويًا في ظرف حاجة المؤمن إلى الطمأنينة.

4. الهدف (المقاصد التداولية)

الحديث يحقق عدة مقاصد تداولية:

الإخبار:

يخبر العبد أن سلوكياته (ظنه، ذكره، قربه) تُقابل بردّ فعل إلهي.

التحفيز:

يشجع العبد على حسن الظن، والذكر، والتقرب إلى الله.

الطمأنة:

يطمئن العبد أن الله قريب، يسمع، ويستجيب بأكثر مما يقدم العبد.

التوجيه:

يوجه العبد إلى سلوك روحاني وتعبدي معين (الذكر، الإيجابية، الرجاء).

5. أفعال الكلام (Speech Acts)وفق تصنيف "سيرل" لأفعال الكلام، الحديث يحتوي على:

الإخباري (Assertive):

"أنا عند ظن عبدي بي"، "أنا معه إذا ذكرني"

نقل لحقيقة إيمانية.

التحفيزي/التوجيهي (Directive):

بشكل غير مباشر، يدعو العبد إلى الإكثار من الذكر، وحسن الظن، والسعي إلى القرب من الله.

التمثيلي (Commissive):

الله تعالى يلتزم، في نص الحديث، بأنه سيجازي العبد بحسب فعله: "إن اقترب إليّ شبرًا..." إلخ.

الإنشائي/الشرطي (Conditional):

⟵ يعتمد الحديث على جمل شرطية لتحقيق المعنى:

"إن ذكرني... ذكرته"،

"إن أتاني يمشي... أتيته هرولة"

6. الضمائر والعناصر التداولية

ضمير المتكلم: "أنا"، "ذكرتُه"، "أتيته"

حضور قوي للذات الإلهية، يشعر المخاطب بقرب الله واهتمامه.

ضمير الغائب للمخاطب المفترض: "عبدي"، "ذكرني"، "ظن بي"

إشارة لعلاقة مباشرة، شخصية، حميمية بين الله وعبده.

أسلوب الخطاب: شرطي تكراري يعزز تأثير الرسالة:

"إن فعل كذا... فعلت كذا"

7. أسلوب الخطاب (النبرة التداولية)

أسلوب ترغيبي، حميمي، تحفيزي.

يحمل في طياته وعدًا إلهيًا صريحًا لمن يحسن الظن ويتقرب.

لا نجد في الخطاب وعيدًا أو تخويفًا، بل هو خطاب بناء.

8. التأثير التداولي (أثر الكلام في المتلقي)

يعزز الأمل في قلب العبد.

ينشئ سلوكًا: يجعل المؤمن يكثر من الذكر، ويتقرب، ويحسن الظن.

يبني علاقة شخصية مباشرة بين الله وعبده.

يولّد شعورًا بالكرامة والاهتمام الإلهي بالفرد.

9. السمات التداولية الخاصة بالحديث القدسي

الكلام يُنسب لله، لكن بصيغة مختلفة عن القرآن (ليس متعبدًا بتلاوته).

له حميمية أكثر من القرآن الكريم، وغالبًا يكون في الشق العاطفي والوجداني من العلاقة بين العبد وربه.

المطلب الثالث : تحليل الظواهر التداولية

ثانيًا: السياق اللغوي وغير اللغوي (Linguistic & Extra-Linguistic Context)

السياق اللغوي:

الأسلوب: خبري شرطي، متكرر، بنمط ثابت (إن... ف...).

المفردات: "الظن"، "الذكر"، "الملأ"، "اقتراب"، "هرولة" ⟵ ألفاظ تعبّر عن تفاعل وجداني وحركي.

التدرج: من الظن الباطني، إلى الذكر الفردي، ثم الجماعي، إلى الفعل الجسدي (الاقتراب) يدل على تصاعد العلاقة الإيمانية.

السياق غير اللغوي:

الزمن والمكان: الأرجح أنه حديث مدني، في سياق تعليم الصحابة تقوية الإيمان.

حال المخاطبين: في حاجة إلى تثبيت إيماني، وربما تعزية نفسيّة (بعد غزوة أو موقف صعب).

الثقافة المحيطة: بيئة جاهلية سابقة كانت تُضخّم الخوف من الله وتضعف الرجاء؛ فجاء الإسلام يعدل هذه النظرة.

هذا السياق يُضفي على الحديث وظيفة علاجية نفسية وتربوية بالغة الأثر.

المطلب الرابع : نتائج و استنتاجات

أولًا: الرسالة الأساسية للحديث

الرسالة الجوهرية:

أن العلاقة بين العبد وربه تقوم على "الثقة والرجاء والتفاعل" لا على الجمود والخوف فقط.

تتلخص في 3 مفاهيم رئيسية:

حسن الظن بالله أساس الإيمان الصحيح.

الذكر والقرب من الله يجلب الرحمة والمكانة.

الله كريم يتعامل مع عبده بأضعاف ما يقدّم.

ثانيًا: كيف يُسهم الحديث في تنظيم العلاقات الاجتماعية والسلوكية؟

1. يبني الثقة الداخلية لدى الفرد

الفرد الذي يحسن الظن بالله يكون أكثر طمأنينة، أمانًا نفسيًا، وأقل قلقًا.

هذا يُخفّف التوتر والعدوانية تجاه الآخرين.

2. يدعو إلى حسن الظن بالناس قياسًا على حسن الظن بالله

من تعود أن يحسن الظن بالله، يميل إلى الإيجابية في نظرته للناس، ويقل سوء ظنه.

3. ينشر ثقافة الذكر والتقوى في المجتمع

الذكر ليس فعلًا فرديًا فقط، بل جماعيًا أيضًا («فِي مَلَإٍ»)

تعزيز الروابط الروحية بين أفراد المجتمع.

4. ينظّم سلوك المبادرة والإحسان

الحديث يعلّم أن الله يكافئ المبادرة، مما يرسخ قيمة المبادرة لفعل الخير في العلاقات الاجتماعية أيضًا.

5. يرسّخ مفهوم المكافأة العادلة والرحيمة

فكما يُكافئ الله على القرب، يجب أن يكون في المجتمع مكافأة وتشجيع على الخير.

ثالثًا: ما أثر الحديث في بناء الوعي الديني والأخلاقي؟

1. الوعي الديني:

يربط بين الإيمان والسلوك اليومي (الذكر، حسن الظن، المبادرة).

يعيد تشكيل صورة الله في الوجدان: الله قريب، رحيم، يُثيب بأضعاف، لا فقط منتقم ومُعاقِب.

هذا يخلق علاقة حب مع الله، لا مجرد علاقة خوف، وهو أساس الإيمان الراسخ.

2. الوعي الأخلاقي:

يؤسس لقيم:

- الرجاء
- الإيجابية
- المبادرة
- حسن الظن
- الصدق في الذكر والتوجه لله

هذه القيم تُترجم إلى أخلاق اجتماعية: مثل حسن التعامل مع الناس، الصبر، الطمأنينة، الاعتدال في الحكم على الآخرين.

3. التربية الذاتية:

الحديث يحفّز على مراقبة النفس: كيف تظن بالله؟ كم تذكره؟ كم تتقرب؟

ويعطي الإنسان دافعًا داخليًا للارتقاء بنفسه، لأن الجزاء ليس فقط في الآخرة بل في لحظات القرب والذكر اليومية.

ملخص الفصل الثاني:

الحديثان "تحريم الظلم" و"حسن الظن بالله" يعكسان أفعال كلامية ذات دلالات أخلاقية وروحية، حيث يتضمن الأول نهيًا وتحذيرًا ضد الظلم، مما يؤدي إلى منع سلوك سلبي، بينما يعبر الثاني عن وعد وتعهد من الله يتصل بظن العبد به، مما يعزز الثقة والرجاء. من خلال منظور سيرل أوستين لأفعال الكلام، يمكن فهم أن كلا الحديثين يقومان بأفعال كلامية تهدف إلى توجيه السلوك والنية، ويظهر ذلك بوضوح من خلال القصدية التي تحملها النصوص، إضافة إلى أهمية السياق الديني والاجتماعي في تفسير معانيها وتفعيلها. العلاقة بين الحديثين تكمن في كونهما يعتمدان على فعل كلامي يحمل تأثيرًا مباشرًا على تصرفات ومعتقدات الفرد، من حيث تحذير من الظلم في أحدهما، وتشجيع الثقة بالله في الآخر، مما يبرز دور القصدية والسياق في تحقيق الأثر المرجو من الحديثين.

خاتمة

خاتمة:

بعد دراسة الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية من الأربعين النووية، اتضح لنا أن هذه الأحاديث تحمل بين طياتها معاني روحية وأخلاقية سامية تعبر عن علاقة الله بعباده بأسلوبٍ مميز وفريد. وقد تجلى في هذا الخطاب عمق الرحمة الإلهية والاهتمام بتربية النفوس على التقوى والصلاح، مما يجعل هذه الأحاديث مصدرًا هامًا لفهم تعاليم الإسلام ونقلها للأجيال.

النتائج

- يتميز الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية بأسلوب يجمع بين الرحمة والحكمة، ما يعزز العلاقة بين الله والعبد.
- الأحاديث القدسية تحمل رسائل تربوية تهدف إلى بناء شخصية مؤمنة قوية متزنة.
- تعكس الأحاديث فهمًا عميقًا لمفهوم التقوى والالتزام بالله في حياة المسلم.
- الخطاب الإلهي المباشر في هذه الأحاديث يساهم في زيادة الروحانية والقرب من الله.

التوصيات

- ضرورة توظيف الأحاديث القدسية في المناهج التعليمية لتعزيز القيم الدينية والأخلاقية.
- تشجيع البحث والدراسات المستقبلية التي تتناول تحليل الخطاب النبوي بطرق حديثة تناسب العصر.
- العمل على نشر الوعي بأهمية الأحاديث القدسية في الحياة اليومية للمسلم لتحقيق التوازن الروحي.

قائمة المراجع

قائمة المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش:

1. سورة "الفرقان"، الآية 63.
2. سورة "ص"، الآية 20.
3. سورة "ص"، الآية 23.
4. سورة الجمعة، الآية 2.
5. سورة الحشر، آية 07.
6. سورة ص : آية ٦٨

كتب:

1. Michel Foucault, L'ordre du discours, Paris: Gallimard, 1971. الترجمة العربية: ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد بنيس، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986
2. الأب متى المسكين، كتاب النبوة والأنبياء في العهد القديم، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، دار مجلة مرقس القاهرة .
3. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط3، 2004، ج1
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر ؛ إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: بشير محمد عيون، دار ابن الجوزي، (الدمام)، ط1، 1423هـ.
5. إبن جني؛ الخصائص، مج 1، تح: محمد علي التجار، مطبعة دار الكتاب المصرية، (القاهرة) ط2 ،1952م.
6. ابن حجر العسقلاني ؛ أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، (بيروت)، ط3، 1379هـ.
7. ابن خلدون. المقدمة. بيروت: دار الفكر
8. ابن منظور ؛ لسان العرب المجلد الحادي عشر ، مادة (د. و.ل). (بيروت) دار صادر.

9. ابن منظور ؛ لسان العرب، مادة "قصد"، دار صادر، بيروت.
10. إبن منظور جمال الدين ابن مكرم؛ لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، م10، ط6.
11. ابن منظور، لسان العرب، جزء11، (بيروت) 1990.
12. ابن منظور، لسان العرب، مادة "خطب"، دار صادر، بيروت، ط1، 1956، ج1
13. إبن منظور؛ لسان العرب دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي (بيروت) ط2، 1993م، مادة خطب.
14. ابن هشام ؛ السيرة النبوية، باب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
15. أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله ؛ الفروق اللغوية (395 هـ)، نشر مكتبة القدس ،القاهرة ،1353 هـ .
16. احمد بن فارس زكريا؛ معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، م3.
17. أحمد مختار عمر، الانشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس.
18. أرمينكو فرانسواز؛ المقاربة التداولية،ترجمة الدتور سعيد علوش، الرباط 1986.
19. البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري.
20. برنتانو، فرانتس ؛ علم النفس من وجهة نظر تجريبية، ترجمة: كمال الحاج، دار الطليعة، بيروت، 1980.
21. بوجادي خليفة ؛ في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الطبعة الأولى جامعة سطيف الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009م.
22. البيهقي؛أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

23. تاتريكشارودو دومينيك مونغو ؛ معجم تحليل الخطاب، عبد القادر المهري وحمادي صمود .
24. التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية،لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.
25. ترجمة أحمد عبد الغفور عطار؛ تاج اللغة وصحاح العربية للجوحري، مج1.دار العلم لملايين،(بيروت- لبنان)، 1990 .
26. تقي الدين أبو العباس ابن تيمية؛كتاب النبوات، إدارة الطباعة المنيرة بمصر رقم 1 .
27. حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: دار الثقافة، 1985
28. خالدي هشام، صناعة المصطلح النصوص في اللسان الغربي الحديث دار الكتب العلمية لبنان ط 1، 2012 م
29. خلود العموش؛ خطاب قراني، عالم الكتب الحديث، (الأردن)، ط1، 2008.
30. خليفة الميادي؛ المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم، دار الأمان الرباط، ط1،2013.
31. ردة الله بن ردة؛ دلالة السياق مكتبة الملك نهد الوطنية (مكة المكرمة المملكة السعودية) ، ط1، 1423هـ.
32. الزمخشري محمود عمر؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، -بيروت- .
33. الزمخشري؛ أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (بيروت)، بدون ط، 1988.
34. الزواوي بغورة؛ مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة) 2000م.

35. سعيد يقطين؛ تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، (بيروت – لبنان) ط1. 1989

36. سيرل، جون ؛ أفعال الكلام: مقالة في فلسفة اللغة، ترجمة: فتحي المسكيني، دار توبقال، (الدار البيضاء)، 2006.

37. الشافعي، محمد بن إدريس ؛ الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط1، 1979م.

38. شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي ؛ عقود الدرر في علوم الأثر ، دار الكتب العلمية DKI (بيروت، لبنان) .

39. صحراوي، مسعود. تحليل الخطاب النبوي: دراسة تداولية. الجزائر: دار القصبة، 2005

40. صديقي ساجد الرحمن ؛ المعجم الحديث في علوم الحديث، جامعة بروناي ، دار السلام ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان .

41. طه عبد الرحمان ؛ اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ط1،(المغرب)، 1998.

42. عبد الرحمان خالي؛ النبوة والرسالة مقاربة في المفهوم القرآني، مجلة دراسات التفاهم، (د–م)، (د–ع)، (ج–ت).

43. عبد الرحمان طه؛ تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، (المغرب) دون ط.

44. عَبْدِ السَّلَامِ بن محمد الشويعر ،شرح الأربعين النووية ، تصنيف الإمام يَحْيَى بْنِ شَرَفَ بْنِ مُرِّيٍّ النَّوَوِي.

45. عبد السلام حميد؛ في سوسيولوجيا الخطاب، من سوسيولوجيا التمثيلات إلى سسيولوجيا الفعل، ط1.شبكة العربية للأبحاث و النشر.(لبنان) 2008.

46. عصام أبو اليزيد محمد عبد الله؛ أربع رسائل في الحديث وعلومه تحقيق ودراسة ، الكتاب الأول التبصرة في شرح تذكرة ابن الملقن للامام محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان الديمي (905هـ) دار الكتب العلمية DKI ، (بيروت لبنان) .

47. عضد الدين الايجي ؛ "المواقف في علم الكلام".تحقيق عبد الرحمان عميرة، القاهرة، دار الجيل، 1997م.

48. علي بن سلطان محمد الهروي القاري ؛ شرح شرح نخبة الفكر ، بيروت، دار الكتب العلمية د.ت.

49. علي محمد شريف الجرجاني؛ كتاب التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، د ت.

50. الغوري سيد عبد الماجد ؛ معجم المصطلحات الحديثة دار إبن كثير، (بيروت لبنان)، ط1، 2007 .

51. فرانس واز أرمينكو ؛ المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، الدار البيضاء، دار توبقال، 1985م.

52. المتوكل، أحمد. اللسانيات واللغة العربية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 1998

53. محمد أبو شهبة ؛ كتاب الوسيط في علوم و مصطلح الحديث، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

54. محمد بن علوي المالكي الحسني ؛ المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف، ،دار الكتب العلمية DKI ،(بيروت لبنان) .

55. محمد سعيد رمضان البوطي؛ في الحديث الشريف و البلاغة النبوية ،دمشق، دار الفكر،آفاق معرفة متجددة .

56. محمد صبحي الصالح ؛ مباحث في علوم الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1973م.

57. محمد مختار المفتي؛ المنهج الحديث في علوم الحديث، الطبعة الأولى، أمواج للنشر والتوزيع ،(عمّان- الأردن) .
58. محمد ناصر الدين الألباني، مختصر الإمام البخاري، الطبعة الأولى الشرعية الجديدةأ الرياض ؛المجلد الأول، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها عبد الرحمان الراشد. بدء الوحي .
59. محمود احمد نحلة؛ أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة للنشر والتوزيع،2002م.
60. محمود سليم محمد ؛ الخطاب الديني في الشعر العباسي، ط1، علم الكتب، (الأردن) 2009 .
61. محمود فهمي؛ الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دارالغريب، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
62. مسعود صحراوي؛ التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث، 2008م.
63. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، حديث رقم: 30.
64. معاذ بن سليمان الخيل؛ منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ،مقاربة تداولية، د ت .
65. ميشال فوكو؛ حفريات المعرفة، ترجمة محمد شحرور،بيروت المركزي الثقافي العربي، 2003م .
66. النووي ؛ شرح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام.
67. النووي، يحي بن شرف؛ شرح صحيح مسلم، تحقيق: محمد فوزي عبد الغني القاهرة، دار الفكر العربي،1990م.
68. النووي، يحي بن شرف ؛ شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي،(بيروت)، ط2، 1392هـ.

69. النيسابوري؛ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق : شيخ زكرياء عميران، دار الكتب العلمية، ط1.
70. هوسرل، إدموند ؛ أفكار ممهدة لظاهريات خالصة، ترجمة: زكريا إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، 1993.
71. يحي الجيلالي بلحاج الدارون، القاموس الجديد: الأمازيغي _ العربي _ العربي ، تحقيق لحسن البليش، (تونس)،سراس للنشر،2003.
72. Tzvetan Todorov, Les genres du discours, Paris: Seuil, 1978. الترجمة: تزفيتان تودوروف، تحليل الخطاب، ضمن النقد البنيوي، ترجمة محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1990
73. الجابري، عبد الله. الخطاب النبوي: دراسة في البنية والوظيفة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012
74. تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1980

مذكرات التخرج

1. محمد شهيد الإسلام الفاروقي؛ مفهوم النبوة وطرق إثباته عند (الأستاذ بديع الزمان النورسي والشيخ أبو حسن الندوي)، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الرابع، الهند 2015.
2. مروة إبراهيم شعبان قوتة، إشراف الأستاذ الدكتور/نعمان شعبان علوان؛ الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية) ، الجامعة الإسلامية _غزة _ عمادة الدراسات العليا ،كلية الآداب، قسم اللغة العربية.
3. محمد مدور؛ الافعال الكلامية في القرآن الكريم، دراسة تداولية أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة في علوم لسان العربي، 1434-1435هـ، 2013-2014م.
4. الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية)،مروة إبراهيم شعبان قوتة، إشراف الأستاذ الدكتور/نعمان شعبان علوان ،الجامعة الإسلامية _غزة _ عمادة الدراسات العليا ،كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

موقع الكتروني:

1. الثامري عادل؛ التداولية ظهورها تطورها مقال على الرابط: www.annaba .23com/book dowmloadattch 42_ html

فهرس المحتويات

Contents

شكر وتقدير 3

إهداء 4

إهداء 5

المقدمة 6

الفصل الأول : مدخل مفاهيمي: الخطاب النبوي، الحديث القدسي والتداولية 5

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي 2

المطلب الأول :مفهوم الخطاب: 2

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب النبوي 3

المطلب الثالث: مفهوم الحديث القدسي: 11

المطلب الرابع : الفروق بين الحديث القدسي والحديث النبوي والقرآن: 13

المبحث الثاني : السمات البلاغية والدلالية في الخطاب النبوي القدسي:"بين القصدية والتأثير" **16**

المطلب الأول : السمات البلاغية في الاحاديث القدسية: 16

المطلب الثاني: سياق الخطاب النبوي وأثره في توجيه المعنى: 21

المطلب الثالث: القصدية وأهداف الخطاب النبوي 23

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية للأحاديث القدسية من منظور تداولي 28

المبحث الأول : "قراءة تداولية في حديث " تحريم الظلم ": **29**

المطلب الأول : دراسة السياق: 32

المطلب الثاني : تحليل مكونات الخطاب التداولي : 35

المطلب الثالث : تحليل الظواهر التداولية (**Pragmatic phenomena**): 40

المطلب الرابع: نتائج واستنتاجات 43

المبحث الثاني: قراءة تداولية لحديث "حسن الظن بالله" **46**

المطلب الاول : دراسة السياق 48

المطلب الثاني : تحليل مكونات الخطاب التداولي 50

المطلب الثالث : تحليل الظواهر التداولية 53

المطلب الرابع : نتائج و استنتاجات 54

ملخص الفصل الثاني: 57

خاتمة 58

قائمة المراجع 58

ملخص البحث:

إن التطور المعرفي الذي شهده علم اللسانيات في العقود الأخيرة فتح آفاقًا جديدة لدراسة الخطاب، وخاصة الخطاب الديني، ويعد الخطاب النبوي في الأحاديث القدسية من أهم الخطابات التي تستدعي مقاربات تداولية لتحليلها، نظرًا لما تحمله من أبعاد تواصلية وسياقية غنية. وتهدف هذه الدراسة إلى مقاربة هذا الخطاب من منظور تداولي، من خلال تحليل نماذج من "الأربعين القدسية"، قصد الكشف عن آليات التخاطب بين المتكلم (النبي ناقلًا عن الله) والمخاطب (السامع)، مع التركيز على المقاصد القولية، وغير ذلك من مفاهيم التداولية. كما تحاول الدراسة إبراز خصائص هذا الخطاب وأثره في توجيه السلوك الديني واللغوي للمتلقي، مطروحة بذلك تساؤلات حول كيفية تحقق الوظيفة الإقناعية والتوجيهية في الأحاديث القدسية.

الكلمات المفاتيح: الخطاب النبوي، الأحاديث القدسية، التداولية، المقاصد القولية،

Research Summary (English Translation):

The cognitive development that linguistics has undergone in recent decades has opened new horizons for the study of discourse, particularly religious discourse. Among the most significant types of discourse that call for pragmatic approaches is the prophetic discourse found in Qudsi Hadiths, due to its rich communicative and contextual dimensions.

This study aims to approach this discourse from a pragmatic perspective by analyzing selected examples from Al-Arba'in Al-Qudsiyya (The Forty Qudsi Hadiths), with the goal of uncovering the mechanisms of communication between the speaker (the Prophet conveying from God) and the listener (the audience), with a focus on speech intentions (illocutionary acts) and other key pragmatic concepts.

The study also seeks to highlight the characteristics of this discourse and its impact on guiding the religious and linguistic behavior of the recipient. In doing so, it raises questions about how persuasive and directive functions are realized in the Qudsi Hadiths.

Keywords: Prophetic discourse, Qudsi Hadiths, pragmatics, speech acts.